طبقات الأمم

للقاضي أبي القاسم صاعد بن أحمد الأندلسي المتوفى سنة ٤٦٢ هـ

علمي فلسفي اجتماعي طبيعي

يبحث عن أطوار الأمم، ووصف ملوكها، وعاداتها، وأخلاقها، وآدابها
ودياناتها، وخصائصها، ومساكنها، ومعايشها، ودار هجرتها
وعن الأمم التي عنيت بالعلوم، والتي لم تعن بها
وعن نوابغ علمائها، وآرائهم الفلسفية
والاجتماعية، والعلمية

طبع على نفقة عبد الرءوف افندى الدباغ — بمصر

مطبعة السعادة بمصر



للقاضي أبي القاسم صاعد بن أحمد الأندلسي المتوفى سنة ٤٦٢ هـ

علمي فلسفي اجتماعي طبيعي

بحث عن أطوار الأمم ، ووصف ملوكها ، وعاداتها ، وأخلاقها ، وآدابها
ودياناتها ، وخصائصها ، ومساكنها ، ومعايشها ، ودار هجرتها
وعن الأمم التي عنيت بالعلوم ، والتي لم تعن بها
وعن نوابغ علمائها ، وآرائهم الفلسفية
والاجتماعية ، والعلمية

طبع على نفقة عبد الرءوف افندى الدباغ — بمصر

مطبعة السعادة بمصر

ترجمة المصنف

هو صاعد بن احمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صاعد التغلبي قاضى (طليطلة) يكنى أبا قاسم وأصله من قرطبة روى عن (أبي محمد ابن حزم) و(الفتح بن قاسم) و (أبي الوليد الوقشي) وغيرهم

واستقضاه (المأمون يحيي) بن ذى النون بطليطلة ، وكان متحريا في أموره ، واختار القضاء باليمين مع الشاهد الواحد فى الحقوق ، وبالشهادة على الخط ، وقضى بذلك أيام نظره

وكان من أهل المعرفة ، والذكاء ، والرواية ، والدارية

ولد بالمَريَّة فى سنة ٤٢٠ وتوفى بطليطلة وهو قاضيها فى شوال سنة ٤٦٢ وصلى عليه (يحيي بن سعيد بن الحديدى)

قاله ابن بشكوال ، وذكر بعضه ابن مطاهر

ولصاعد عدة مصنفات ، ذكر بعضها فى كشف الظنون منها (جوامع أخبار الامم) من العرب والعجم ، ومنها (صوان الحكم فى طبقات الحكماء)

وله كتابان آخران ذكرهما لنفسه فى أثناء كلامه فى علوم الهند ، والفرس ، دعاهما كتاب (مقالات أهل الملل والنحل) وكتاب (اصلاح حركات النجوم)

وروى (الغزيرى) عن مخطوطات (الأسكوريال) أن لصاعد تاريخاً (للأندلس) وتاريخا (للاسلام) وكل هذه الكتب مفقودة لا يعرف منها شيء فى خزائن الكتب العمومية

الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

قال القاضي أبو القاسم (صاعد) بن احمد بن صاعد الأندلسى
رحمه الله تعالى

اعلم أن جميع الناس فى مشارق الارض ، ومغاربها ، وجنوبها وشمالها ، وان كانوا نوعاً واحدا ، يتميزون بثلاثة أشياء ، بالأخلاق والصور ، واللغات

الباب الاول

الامم القديمة

وزعم من عنى بأخبار الامم ، وبحث فى سائر الاجيال ، وفحص عن طبقات القرون ، ان الناس كانوا فى سالف الدهور ، وقبل تشعب القبائل ، وافتراق اللغات ، سبع أمم

الامة الاولى

الفرس — وكان مسكنها في الوسط المعمور ، وحد بلادها من الجبال التى فى شمال العراق المتصل بعقبة حلوان ، والذى فيه الماهان ، والكرخ ، والدينَوَر ، وهمدان ، وقم ، وقاشان ، وغيرها من البلاد الى ارمينية ، والباب المتصل ببحر اذربيجان ، وطبرستان ومُوقان ، والبيلقان ، وأرّان ، والشابران ، والرىّ ، والطالقان وجرجان ، الى بلاد خراسان ، كنيسابور ، والمرو ، وسرخس وهراة ، وخوارزم ، وبلخ ، وبخارا ، وسمرقند ، وفرغانه ، والشاش وغيرها من بلاد خراسان ، الى بلادسجستان ، وكرمان ، وفارس والأهواز ، واصبهان ، وما اتصل بها

كل هذه البلاد كانت مملكة واحدة ملكها واحد ولسانها واحد فارسى ، الا أنهم كانوا يتباينون فى شىء يسير من اللغات ويجتمعون فى عدد الحروف وصورة تأليفها ويخرجهم اختلافهم بعد ذلك فى سائر الأشياء من تلك اللغة كالفهلوية ، والدَرِيَّة وغيرها من لغات فارس

والامة الثانية

الكلدانيون، وهم السريانيون، والبابليون، وكانوا اشعو بأمنهم الكوثائيون، والأثوريون، والأرمانيون، والجرامقة وهم أهل الموصل، والنبْط، وهم أهل سواد العراق

وكانت بلادهم فى وسط المعمور أيضاً وهى العراق، والجزيرة التى مابين دجلة، والفرات، المعروفة بديار ربيعة، ومضر، والشام وجزيرة العرب التى بين الحجاز، ونجد، وتهامة، والغور، واليمن كلها ما بين زبيد الى صنعاء، وعدن، والعروض، والشِحْر وحضرموت، وعمان، وغيرها من بلاد العرب

وكانت هذه البلاد واحدة ملكها واحد ولسانها واحد سريانى وهو اللسان القديم لسان (آدم) عليه السلام وادريس ونوح وابراهيم ولوط عليهم السلام وغيرهم

ثم تفرعت اللغة العبرانية والعربية من اللغة السريانية فغلب العبرانيون وهم بنو اسرائيل على الشام فسكنوها، وغلبت العرب على البلد المعروف بجزيرة العرب، المتقدم ذكرها وعلى الجزيرة المعروفة اليوم بديار ربيعة، ومضر، فسكنوا جميع ذلك، وانكمشت

بقية السريانيين الى العراق، وكانت دار مملكتهم العظمى منها مدينة (كَلْواذى)

والامة الثالثة

اليونانيون ، والروم ، والافرنجة ، والجلالقة ، والبرجان والصقالبة ، والروس ، والبُرغر ، واللان ، وغيرهم من الأمم التى حوالى بحر (نيطش) وبحيرة (مانيطش) وغيرها من المواضع التى فى الربع الغربى والشمال من معمور الارض كانت مملكتهم ولغتهم واحدة

والامة الرابعة

القبط ، وهم أهـل مصر ، وأهل الجنوب ، وهم أصـناف السودان ، من الحبشة ، والنوبة ، والزنج ، وغيرهم من أهل المغرب وهم البرابر ، ومن اتصل بهم ، الى بحر (اقيانس) الغربى المحيط لغتهم واحدة ومملكتهم واحدة

والامة الخامسة

أجناس الترك من الخرلخيَّة ، وكيماك ، والتغزغز ، والخزر ،

والسرير ، وجيدان ، وخزدان ، وطيلسان ، وكشك ، وبرطاس
كانت لغتهم واحدة ومملكتهم واحدة

والامة السادسة

الهند ، والسند ، ومن اتصل بهم ، لغتهم واحدة وملكهم واحد

والامة السابعة

الصين ومن اتصل بهم ، من سكان بلاد (عامور بن يافث)
ابن نوح عليه السلام ، مملكتهم واحدة ، ولغتهم واحدة
فهذه الأمم السبعة ، كانت محيطة بجميع البشر ، وكانوا جميعاً
صابئة يعبدون الأصنام تمثيلا بالجواهر العلوية ، والأشخاص
الفلكية ، من الكواكب السبعة وغيرها ، ثم افترقت هذه الأمم
السبعة ، وتشعبت لغاتهم ، وتباينت أديانهم

الباب الثاني

اختلاف الأمم وطبقاتها بالاشغال

قال صاعد ، ووجدنا هذه الأمم على كثرة فرقهم، وتخالف مذاهبهم، طبقتين ، فطبقة عنيت بالعلم فظهرت منها ضروب العلوم وصدرت عنها فنون المعارف، وطبقة لم تعن بالعلم عناية تستحق بها اسمه بعد من امتثله ، فلم ينقل عنها فائدة حكمة ، ولا رؤيت بها نتيجة فكرة

فأما الطبقة التى عنيت بالعلوم فثمانية أمم الهند ، والفرس والكلدانيون ، والعبرانيون ، واليونانيون ، والروم ، وأهل مصر ، والعرب ،

وأما الطبقة التى لم تعن بالعلوم ، فبقية الأمم بعد من ذكرنا من الصين، ويأجوج ، ومأجوج ، والترك ، وبرطاس ، والسرير والخزر ، وجيلان ، وكشك ، واللان ، والصقالبه ، والبلغر والروس ، والبرجان ، والبرابر ، وأصناف السودان من الحبشة والنوبة ، والزنج ، وغانة، وغيرهم

الباب الثالث

الامم التى لم تعن بالعلوم

وأنسب هذه الأمم التى لم تعن بالعلوم الصين ، والترك

فأما (الصين) فأكثر الأمم عدداً ، وأفخمها مملكة، وأوسعها داراً،ومساكنهم محيطة بأقصى المشارق المعمور مابين خط معدّل النهار الى أقصى الأقاليم السبعة فى الشمال، وحظهم من المعرفة التى بذُّوا فيها سائر الأمم اتقان الصنائع العملية ، وإحكام المهن التصورية فهم أصبر الناس على مطاولة التعب فى تجويد الأعمال ، ومقاساة النصب فى تحسين الصنائع

وأما (الترك) فأمة كثيرة العدد أيضاً فخمة المملكة ومساكنهم ما بين مشارق خراسان من مملكة الاسلام ، وبين مغارب الصين وشمال الهند ، الى أقصى المعمور الشمالى

وفضيلتهم التى برعوا فيها، وأحرزوا خصلتها ، معاناة الحروب ومعالجة آلاتها ، فهم أحذق الناس بالفروسية، والثقافة، وأبصرهم بالطعن ، والضرب ، والرماية

وأما سائر هذه الطبقة التى لم تعن بالعلوم ، فهم أشبه بالبهائم منهم بالناس، لأن من كان منهم موغلا فى بلاد الشمال ما بين آخر الأقاليم السبعة التى هى نهاية المعمور فى الشمال، فإفراط بُعد الشمس عن مسامتة رؤوسهم، برد هوائهم، وكثف جوهم ، فصارت لذلك أمزجتهم باردة ، وأخلاطهم فجة ، فعظمت أبدانهم ، وابيضت ألوانهم، وانسدلت شعورهم ، فعدموا بهذه دقة الأفهام ، وثقوب الخواطر ، وغلب عليهم الجهل ، والبلادة ، وفشا فيهم العمى والغباوة ، كالصقالبة ، والبلغر ، ومن اتصل بهم

ومن كان منهم ساكناً قريباً من خط معدّل النهار وخلفه الى نهاية المعمور فى الجنوب، فطول مقارنة الشمس لِسَمْت رؤوسهم أسخن هواءهم ، وسخف جوهم ، فصارت لذلك أمزجتهم حارة وأخلاطهم محترقة ، فاسودت ألوانهم، وتفلفلت شعورهم ، فعدموا بهذه رجاحة الأحلام ، وثبوت البصائر ، وغلب عليهم الطيش وفشا فيهم النوك ، والجهل ، مثل من كان من السودان ساكناً بأقصى بلاد الحبشة ، والنوبة، والزنج، وغيرها

وأما (الجلالقة والبرابرة) وسائر سكان أكناف المغرب من هـذه الطبقة ، فأمم خصها الله تعالى بالطغيان ، والجهـل ، وعمها

بالعدوان والظلم ، على أنهم لم يوغلوا فى الشمال فيلحقهم آفة البرد ولا تمكنوا من الجنوب فتقصر بهم طبيعة الموضع، بل مساكنهم قريبة من البلاد المعتدلة الهواء

فأما (الجلالقة) فمساكنهم فى مغارب بعض الاقاليم الخامس ومايتصل به من بعض الأقليم السادس .

وأما (البرابر) فمساكنهم في مغارب بعض الاقليم الثانى وما يتصل به من الاقليم الثالث، وبعض الاقليم الرابع، ولكن الله تعالى يختص برحمته من يشاء ، ويعدل بنعمته عمن يشاء

وأما سائر من لم أذكره بشيء من هـذه الطبقة فهم أسوة هؤلاء فى الجهل، وان اختلفت مراتبهم فيه وتباينت قسمهم منـه لانهم أجمعين مشـتركون فيما ذكرنا منهم من أنهم لم يستعملوا أفكارهم فى الحكمة ، ولاراضوا أنفسهم بتعلم الفلسفة، الاأن جمهورهم مع هذا وهم أهل المدن وخلافهم من أهل البادية، لايخلون حيثما كانوا من مشارق الارض ومغاربها، وجنوبها، وشمالها، من سياسة ملوكية تضبطهم، وناموس الهي يملكهم، ولا يشذ عن هذا النظام الانسانى ولا يخرج عن هذا التألف العقلى، الابعض قطان الصحارى ،وسكان الفلوات والفياف، كرعاع البجة، وهمج غانة ، وغثاء الزنج، وماأشبههم

الباب الرابع

الامم التى عنيت بالعلوم

أما الطبقة التى عينت بالعلوم فهم صفوة الله من خلقه ونخبته من عباده لانهم صرفوا عنايتهم الى نيل فضائل النفس الناطقـة الصانعة لنوع الانسان، والمقومة لطبعه، وزهدوا فيما رغب فيه (الصين والترك) ومن نزع منزعهم، من التنافس فى أخلاق النفس الغضبية والتفاخر بالقوى البهيمية ، اذ علموا أن البهـائم تشركهم فيها وتفضلهم فى كثير منها

أما فى الصنعة وإحكام التصوير واتقان التشكيل فكالنحل المحكمة لتسديس مخازن قوتها ، والعنكبوت المتقنة لخيوط بيوتها وتجويد تناسب الدوائر المقاطعة لها، وغيرها من البهائم التى ظهرت منها الصنائع العجيبة ، والأفاعيل الغريبة ، حتى ضربت العرب بها الأمثال فقالت (أصنع من السُّرْفة) وهى دودة تكون فى الحمص ويبلغ من صنعها أن تصنع بيتاً مربعاً من دقائق العيدان ، وقالوا (أصنع من تنَوُّط) وهو طائر يبلغ رفقه فى صنعه عشه متدلياً من الشجرة

وأما فى الجرأة والشجاعة ، فكالأسد والنمر وغيرهما من السباع التى لا يتعاطى الانسان اقدامها، ولا يدعى بسالتها، وكذلك أيضاً سائر القوى الحيوانية من الجود والبخل وغيرهما ، فان لبعض البهائم فيها مزية على الانسان ، ولذلك ضربت العرب الأمثال فقالت

أسخى من ديك ، وأجرأ من ليث ومن ذباب ، وأختل من ذئب، وأخبث من ثعلب ومن ضب، وأخشع من كلب، وأظلم من حية ، وأكسب من ذرة ومن نحلة ومن دب ، وأجبن من نعامة وأهدى من قطاة، وأحذر من عقعق، وأبخل من كلب، وألح من الحمّى ، وأجبن من صِفْرد، وأروغ من ثعلب ، وأصبر من عرد وأحن من ناب

وكذلك قوى الاجسام، وصدق الحواس ، لا ينكر أحد ان حظ بعض البهائم منها أوفر من حظ الانسان، وكذلك قالت العرب في أمثالها

أبصر من عقاب ومن فرس ، وأصح من ذئب ومن ظليم وأضبط من نملة ، فانها تحمل النواة وهى أضعافها

وأسمع من قرد ومن سِمْع ومن فرس بيهماء ، وأسمع من

دُلدل وهو القنفذ الضخمة، وأسرع من فرس، وسوى هذا مما ضربوا فيه الامثال بأنواع البهائم

فهذا الغرض الشريف، والمقصد الكريم، من حب القوى الانسانية والكلف بالفضائل البشرية والانفة من مشاكلة البهائم والأباءة من مشابهة السباع

وكان أهل العلم مصابيح الدجى ، وأعلام الهدى ، وسادة البشر ، وخيار الامم، الذين فهموا غرض البارى تعالى منهم، وعرفوا الغاية المنصوبة لهم ، فصلاة الله عليهم وياوحشة الدنيا لفقدهم

واذ قدمنا هذه الطبقة التى عنيت بالعلم ثمانى أمم وكان قصدنا التعريف بعلومهم، والتنبيه على علمائهم، فنشرع فى ذلك على حسب مانذهب اليه من الايجاز والاختصار، ان شاء الله تعالى

العلم في الهند

أما الامة الاولى وهى (الهند) فأمة كثيرة العدد ، عظيمة العدد ، فخمة الممالك ، قد اعترف لها بالحكمة ، وأقر لها بالتبرّز فى فنون المعارف جميع الملوك السالفة ، والقرون الماضية

وكان ملوك الصين يقولون ، ان ملوك الدنيا خمسة وسائر الناس أتباع ، فيذكرون ملك (الصين) وملك (الهند) وملك (الترك) وملك (الفرس) وملك (الروم) وكانوا يسمون ملك الصين (ملك الناس) لان أهل الصين أطوع الناس للمملكة ، وأشدهم انقياداً للسياسة

وكانوا يسمون ملك الهند (ملك الحكمة) لفرط عنايته بالعلوم، وتقدمهم فى جميع المعارف

وكانوا يسمون ملك الترك (ملك السباع) لشجاعة الترك وشدة بأسهم

وكانوا يسمون ملك الفرس (ملك الملوك) لفخامة مملكته وجلالتها ، ونفاسة قدرها ، وعظم شأنها، ولانها حازت على الملوك وسط المعمور من الارض واحتوت دون سائر الملوك على أكرم الاقاليم

وكانوا يسمون ملك الروم (ملك الرجال) لان الروم أجمل الناس وجوهاً، وأحسنهم أجساماً ، وأشدهم أشرا

فكان (الهند) عند جميع الامم على ممر الدهور وتقادم الازمان معدن الحكمة ، وينبوع العدل والسياسة، وأهل الاحلام الراجحة

والآراء الفاضلة، والأمثال السائرة، والنتائج الغريبة، واللطائف العجيبة وهم وان كانت ألوانهم فى أول مراتب السواد فصاروا في ذلك من جملة السودان، فقد جنبهم الله تعالى سوء أخلاق السودان ودناءة شيمهم، وسفاهة أحلامهم، وفضلهم على أمم كثيرة من السمر والبيض

ولبعض أهل العلم بأحكام النجوم فى هذا تعليل، وذلك أنهم زعموا أن (زحل) و(عطارد) يتوليان بالقسمة الطبيعية الهند، فلولاية زحل لتدبيرهم أسودت ألوانهم، ولولاية عطارد لذلك خلصت عقولهم ولطفت أذهانهم، مع مشاركة زحل فى صحة النظر، وبعد الغور فكانوا لهذا حيث هم من صفاء القرائح وسلامة التميز وخالفوا بذلك سائر السودان من الزنج والنوبة والحبشان وسواهم فلهذا التحقوا بعلم العدد والإحكام بصناعة الهندسة ونالوا الحظ الاوفى والقدح المعلى من معرفة حركات النجوم وأسرار الفلك وسائر العلوم الرياضية

وبعد هذا فانهم أعلم الناس بصناعة الطب، وأبصرهم بقوى الادوية، وطبائع المولدات، وخواص الموجودات، ولملوكهم السيرة الفاضلة، والملكات المحمودة، والسياسات الكاملة

أما العلم الالهي فانهم مجمعون منه على التوحيد لله عز وجل والتنزيه له عن الاشراك به

ثم هم مختلفون فى سائر أنواعه فنهم براهمة ومنهم صابئة

فأما (البراهمة) وهى فرقة قليلة العدد فيهم ، شريفة النسب عندهم ،فنهم من يقول بحدوث العالم ، ومنهم من يقول بأزله ، الا أنهم مجمعون على ابطال النبوات ، وتحريم ذبائح الحيوان ، والمنع فى ايلامه

وأما (الصابئة) وهم جمهور الهند ومعظمها ، فانها تقول بأزل العالم وانه معلول بذات علة العلل التى هى (البارئ) عز وجل وتعظم الكواكب وتصور لها صورا تمثلها ، وتتقرب اليها بأنواع القرابين على حسب ماعلموا من طبيعة كل كوكب منها ليستجلبوا بذلك قواها ، ويصرفوا فى العالم السفلى على اختيارهم تدابيرها ، ويسمون كل صورة من هذه الصور (بدّ) ولهم فى أزمان البددة ، وأدوار الكواكب وأكوارها ، وفساد جميع المولدات من العناصر الاربعة عند كل اجتماع يكون للكواكب فى رأس الحمل ، وفى عودة المولدات ، فى كل دور آراء كثيرة ، ومذاهب متفرقة ، على حسب مابينا فى كتابنا فى (مقالات أهل الملل والنحل)

ولبعد الهند من بلادنا واعتراض الممالك بيننا وبينهم قلت

عندنا بتآليفهم، فلم يصل الينا الا طرف من علومهم، ولا وردت علينا الا نبذ من مذاهبهم، ولا سمعنا الا بالقليل من علمائهم، فمن مذاهب الهند فى علم النجوم المذاهب الثلاثة المشهورة عنهم، وهو مذهب (السند هند) ومذهب (الازجير) ومذهب (الاركند)

ولم يصل الينا منهم على التحصيل الا مذهب (السند هند) وهو المذهب الذى تقلده جماعة من الاسلام وألفوا فيه (الازياج) كمحمد بن ابرهيم (الفزارى) و(حنش) بن عبد الله البغدادى ومحمد بن موسى (الخوارزمى) والحسين بن محمد المعروف (بابن الآدمى) وغيرهم وتفسير السندهند «الدهر الداهر» كذلك حكى الحسين بن الآدمى في زيجه

تقول أصحاب (السند والهند) ان الكواكب السبعة (وأوجاتها) وجوزهراتها) تجتمع كلها في رأس الحمل خاصة فى كل أربعة آلاف الف الف سنة وثلثمائة الف الف سنة وعشرين الف الف شمسية ويسمون هذه المدة مدة العالم لانهم يزعمون ان الكواكب (وأوجاتها) و(جوزهراتها) متى اجتمعت فى رأس الحمل فسد جميع المكونات فى الارض وبقى العالم السفلى خرابا دهراً طويلا، حتى تتفرق الكواكب، والاوجات، والجوزهرات، فى البروج

فاذا كان ذلك بدأ الكون ، وعادت حالة العالم السفلى الى الامر الاول، هكذا أبداً الى غير غاية عندهم

ولكل واحد من (الكواكب) (والاوجات) (والجوزهرات) أدوار مافى هذه المدة التي هى عندهم مدة العالم ، قدذكرتها فى كتابى المؤلف (لاصلاح حركات النجوم)

وأما أصحاب (الازجير) فانهم وافقوا أصحاب (السند هند) الا عدد مدة العالم فان مدتهم التى ذكروها ان الكواكب (وأوجاتها) (وجوزهراتها) تجتمع عندهم فى رأس الحمل هى جزء من الف من مدة (السند هند) وذلك عندهم تفسير (الازجير)

وأما أصحاب (الاركند) فانهم خالفوا الفرقتين الاوليتين من حركات الكواكب ، وفى مدة العالم خلافا لم يبلغنى حقيقته

ومما وصل الينا من علومهم فى الموسيقى الكتاب المسمى بالهندية (نافر)وتفسيره (ثمار الحكمة)فيه أصول اللحون وجوامع تأليف النغم

ومما وصل الينا من علومهم فى اصلاح الأخلاق ، وتهذيب النفوس كتاب (كليلة ودمنة) الذى جلبه (برزويه) الحكيم

الفارسى من الهند الى (أنوشروان) بن قباد بن فيروز ملك الفرس وترجمه له من الهندية الى الفارسية

ثم ترجمه في الاسلام (عبد الله بن المقفع) من اللغة الفارسية الى اللغـة العربية ، وهو كتاب عظيم الفائدة ، شريف الغرض جليل المنفعة

ومما وصل الينا من علومهم في العدد حساب (الغبار) الذى بسطه (أبو جعفر محمد بن موسى الخوارزمى) وهو أوجز حساب وأخصره ، وأقربه تناولا ، وأسهله مأخذا ، وأبدعه تركيبا ، يشهد للسند بذكاء الخواطر ، وحسن التوليد وبراعة الاختراع

ومما وصل الينا من نتائج فكرهم الصحيحة ، ومولدات عقولهم السليمة ، وغرائب صنائعهم الفاضلة (الشطرنج)

وللهند فيما يتركب من بيوتها من الاعداد المضاعفة ، رموز أسرار يعتقدونها من مقدم المعرفة ، وغوامض يتنخلونها من القوى الخارجة عن الطبيعة

ولعمرى أن فيما يظهر عند استعمالها ، بتصريف قطعها ، من حسن التأليف ، وعجيب الترتيب ، لغرضا جليلا ، ومقصدا فخما لمافى ذلك من التنبيه على وجه التحرز من الاعداء ، والاشارة

الى صورة الجبلّة ، فى التخلص من المكاره ، وكفى بهذا فائدة جمة وثمرة نافعة

وبما بلغنا ذكره من علمائهم بهيئة العالم ، وتركيب الافلاك وحركات النجوم (كنكه الهندى) فان (أبا معشر) جعفر بن عمر البلخي ذكر فى كتاب (الالوف) انه المقدم فى علم النجوم عند جميع العلماء من الهند فى سالف الدهر

ولم يبلغنى تحديد عصره ، ولا شئ من أخباره ، غير ما ذكرناه عنه

العلم في الفرس

وأما الامة الثانية وهى (الفرس) فأهل الشرف الباذخ ، والعز الشامخ ، وأوسط الامم داراً ، وأشرفها اقليما ، وأسوسها ملوكا ولا نعلم أمة غيرها دام لها الملك

وكانت لهم ملوك تجمعهم ، ورؤوس تحامى عنهم من ناوأهم وتغلب بهم من غالبهم ، وتدفع ظالمهم عن مظلومهم ، وتحملهم من الامور على مافيه حظهم ، على اتصال ودوام ، وأحسن التئام وانتظام يأخذ ذلك آخرهم عن أولهم ، وغابرهم عن سالفهم

قال صاعد ولاهل العلم بتاريخ الأمم، تنازع فى مدة مملكة (الفرس) ليس هذا موضع ذكره، وقد أتينا باختلافهم فى ذلك فى كتابنا فى (جوامع أخبار الامم، عن العرب والعجم)

وأصح ما قيل فى ذلك ان من ابتداء ملك (كيومرث) ابن أميم بن لود بن سام بن نوح أبى الفرس كلها الذى هو عندهم (آدم) أبو البشر عليه السلام الى ابتداء ملك (منوشهر) أول ملوك الطبقة الثانية من ملوك الفرس نحو ألف سنة كاملة

ومن ملك (منوشهر) الى ابتداء ملك (كيقباذ) بن روع أول ملوك الطبقة الثالثة من ملوك الفرس، قريب من مائتى عام

ومن ملك (كيقباذ) الى ابتداء ملك الطوائف، وهى الطبقة الرابعة من ملوك الفرس، وذلك عند مقتل (الاسكندر) لدارا بن دارا آخر ملوك الطبقة الثالثة من ملوك الفرس نحو ألف سنة

ومن أول ملك الطوائف الى ابتداء ملك (ازدشير) بن بابك الساسانى أول ملوك بنى ساسان، وهى الطبقة الخامسة من ملوك (الفرس) خمسمائة سنة، واحدى وثلاثون سنة

ومن ابتداء ملك (ازدشير) بن بابك الى انقضاء دولة الفرس من الارض وذلك عند قتل (يزدجرد) بن شهريار زمان خلافة

(عثمان) بن عفان رضى الله عنه فى سنة اثنين وثلاثين من الهجرة أربعمائة سنة ، وثلاث وثلاثون سنة

فذلك ثلاثة آلاف سنة ، ومائة سنة ، وأربع وستون سنة

وانما ذكرنا مدة ملكهم، وان لم يكن من غرض هذا الكتاب لترى بذلك فخامة مملكتهم، وعظم سلطانهم، ولهذا ومثله من سائر جلالتهم ، استحق ملوكهم عند سائر الملوك أن يقال لهم (ملوك الملوك) على حسب ما قدمنا قبل ذلك

وأعظم فضائل ملوك (الفرس) التى اشتهروا بها ، حسن السياسة ، وجودة التدبير ، لاسيما ملوك بنى ساسان منهم ، فهم ملوك لم يكن فى سائر الاعصار مثلهم رجاحة أحلام، وكرم سيرة واعتدال مملكة ، وبعد صيت

ومن خواص الفرس عناية بالغة بصناعة الطب ومعرفة ثاقبة بأحكام النجوم، وتأثيرها فى العالم السفلى ، وكانت لهم ارصاد للكواكب قديمة ، ومذاهب فى حركاتها مختلفة ، فمن ذلك المذهب الذى ألف عليه (أبو معشر) جعفر بن محمد البلخى زيجه الكبير وذكر انه مذهب العلماء المتقدمين من أهل فارس ، وكثير من علماء سائر النواحى

وحكى أن مدة العالم عندهم جزء من اثنى عشر ألف من مدة (السند هند) وذلك ثلاثمائة ألف سنة، وستون ألف سنة ، وان هـذه المدة عندهم التى تجتمع فيها أوساط الكواكب خاصة فى رأس الحمل، من غير أن يكون معها (أوجاتها) و(جوزهراتها)

وأثنى أبو معشر على هذا المذهب وقال ان أهـل الحساب من (فارس) و(بابل) و(الهند) و (الصين) وأكثر الامم ممن كانت له معرفة بصناعة النجوم ، مجمعون على أن أصح الادوار دور هـذه الفرقة وكانوا يسمونها بسنى العالم وبهذا الاسم كانت تسميها الامم الخالية من أهل هذه الصناعة على قديم الدهور وأما أهل زماننا فانهم يسمونها بسنى أهل فارس

وللفرس كتب جليلة فى أحكام النجوم منها ، كتاب فى صور درجات الفلك ينسب الى (ازدرشت) وكتاب (التفسير) وكتاب (جاماساف) وهو جليل جدا

وذكر بعض علماء الاخبار أن الفرس في أول أمرها كانت موحدة على دين نوح عليه السلام الى أن أتى (بوذاسف) المشرقي الى (طهمورث) ثالث ملوك الفرس بمذهب الحنفاء وهم (الصابئيون) فقبله منـه وقهر الفرس على التشرع به فاعتقدوه نحو ألف سـنة

وثمانمائة سنة الى أن تمجسوا جميعا

وكان سبب تمجسهم ان (زرادشت) الفارسي ظهر في زمان (يستاسب) ملك الفرس ولثلاثين سنة خلت من ملكه ودعا الي دين المجوسية من تعظيم النار وسائر الانوار والقول بتركيب العالم من النور والظلام، واعتقاد القدماء الخمسة التي هي عندهم (البارى تعالى عما يقولون) و(ابليس) و(الهيولى) و(الزمان) و(المكان) وغير ذلك من شريعة المجوسية

فقبل ذلك منه (يستاسب) وقام بدينه، وقاتل الفرس عليه حتى انقادوا جميعا، اليه ورفضوا دين الصابئة، واعتقدوا (زرادشت) نبيا مرسلا من عند الله عز وجل اليهم

ولم يزالوا على دينه وملتزمين لشريعته، قريبا من ألف سنة وثلثمائة سنة، الى أن ضعضع ملكهم (عمر بن الخطاب) رضي الله عنه واحتوى على المدائن قاعدة عزهم، وطردهم عن العراق وما يتصل بها الى بلاد خراسان، ثم استأصل (عثمان) رضي الله عنه بقية ملكهم بقتل (يزدجرد) بن شهريار آخر ملوكهم في خلافته وذلك سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة وباد منهم خلق عظيم في الحروب الواقعة بينهم وبين المسلمين في يوم القادسية ويوم (جلولاء) ويوم (نهاوند)

وغيرها وأسلم منهم جماعة، وبقيت بقيتهم على دين المجوسية إلى الآن، أهل ذمة كذمة اليهود والنصارى (بالعراق) و(الاهواز) و (بلاد فارس) و (أصبهان) و (خراسان) وغيرها من مملكة الفرس قبل الاسلام

العلم عند الكلدان

وأما الأمة الثالثة وهم (الكلدانيون) فكانت أمة قديمة الرئاسة نبيهة الملوك، كان منهم النماردة الجبابرة الذين كان أولهم (النمرود) بن كوش بن حام بانى المجدل الذى ذكره الله تعالى فى قوله (قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) وحكى أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمدانى المعروف بابن (ذى الدمينة) صاحب كتاب (سرائر الحكمة) وكتاب (الاكليل) وغيرهما

ان ارتفاع سمك المجدل كان فيما ذكره أهل العلم خمسة آلاف ذراع، وكان عرضه ألفاً وخمسمائة ذراع

ويزعم البابليون أن هذا النمرود البابلى بانى الصرح، كان أول

ملوك الارض بعد الطوفان

وكان منهم نمرود (ابراهيم) عليه السلام وهو النمرود بن كنعان بن سنحاريب بن النمرود الاكبر بانى الصرح

وكان منهم (بخت نصر) بن مروزاذان بن سنحاريب من ولد نمرود الأصغر بن كنعان الذى غزا بنى (اسرائيل) وقتل منهم خلقاً عظيما ، وسبي بقيتهم ، وغزا مصر وافتتحها ، ودوخ كثيراً من البلدان

ولم يزل ملك (بخت نصر) ببابل وجميع بلاد الكلدانيين الى أن ظهر عليهم الفرس ، وغلبوهم على مملكتهم ، وأبادوا كثيراً منهم ، فدرست أخبارهم ، وطمست آثارهم

وكان من الكلدانيين علماء من أجل الناس فضلا وحكماً متوسعون في فنون المعارف ، من المهن التعليمية ، والعلوم الرياضية والالهية

وكانت لهم عناية بارصاد الكواكب وتحقق بعلم أسرار الفلك ، ومعرفة مشهورة بطبائع النجوم وأحكامها ، وخواص المولدات وقواها

وهم نهجوا لأهل الشق الآخر من معمور الارض الطريق

الى تدبير الهياكل ، لاستجلاب قوى الكواكب ، واظهار طبائعها وطرح شعاعاتها ، عليها بأنواع القرابين المؤلفة لها ، وضروب التدابير المخصوصة بها ، فظهرت منهم الافاعيل الغريبة ، والنتائج العجيبة ، من انشاء الطلسمات وغيرها من صناعة السحر

وأشهر علمائهم عندنا وأجلهم هو (هرمس) البابلى وكان فى عهد (سقراط) الفيلسوف اليونانى وذكر عنه (أبومعشر) جعفر بن محمدبن عمر البلخى فى كتاب (الألوف) انه هو الذى صحح كثيراً من كتب الأوائل فى علوم النجوم وغيرها من أصناف الفلسفة مما كان فسد وانه صنف كتباً كثيرة فى علوم شتى

قال (أبومعشر) والهرامس جماعة شتى ، منهم الهرمس الذى كان قبل الطوفان ، الذى يزعم العبرانيون أنه خنوخ النبي وهو (ادريس) عليه السلام

وكان بعد الطوفان منهم عدّة ذوو معرفة وتميز وكان المقدم منهم اثنان ، أحدهما البابلى الذى ذكرنا ، والآخر تلميذ (فيثاغورس) الحكيم ، من سكان مصر

قال صاعد وقد وصل الينا من مذهب (هرمس) البابلى

مادل على تقدمه فى العلم ، من ذلك مذهبه فى مطارح شعاعات الكواكب ، ومذهبه فى تسوية بيوت الفلك ، ومن ذلك كتبه فى أحكام النجوم مثل كتاب (الطول) وكتاب (العرض) وكتاب (قضيب الذهب)

ومن علمائهم بعد هرمس (برجس) صاحب كتاب (أسرار النجوم) فى معرفة الملل والدول والملاحم

ومنهم (واليس) صاحب كتاب (الصور) وكتاب(اليرندج) المؤلف فى المواليد وتحاويلها والمدخل الى ذلك وكان ملكا

ومنهم (اصطفن) البابلى له كتاب جليل فى أحكام النجوم وكان عند (شعيب) النبي عليه السلام

ولم يصل الينا من مذهب البابليين فى حركات النجوم وصورة هيئة الفلك مذهب مستقصى ولا جملة ولا عندنا من آدابهم فى ذلك ولا من ارصادهم غير الارصاد التى نقلها عنهم (بطليموس) اليونانى القلوذى فى كتاب (المجسطى) فانه اضطر اليها فى تصحيح حركات الكواكب المتحيرة اذ لم يجد لاصحابه اليونانيين فى ذلك ارصاداً يثق بها

العلم فى اليونان

وأما الأمة الرابعة وهم اليونانيون فكانت أمة عظيمة القدر في الأمم طائرة الذكر فى الآفاق فخمة الملوك عند جميع أهل الأقاليم منهم (الاسكندر) بن فيلبوس المقدونى ، المعروف (بذى القرنين) الذى غزا (دارا) بن دارا ملك الفرس فى عقر داره وثل عرشه ومزق ملكه وفرق جمعه ثم تخطاه قاصداً الى ملوك الشرق من الهند والترك والصين فتغلب على بعضهم وانقاد له جميعهم وتلقوه بالهدايا الفخمة واستكفوه بالأتاوات الجزلة ولم يزل متردداً فى أقاصى الهند وتخوم الصين وسائر أكناف المشارق حتى اجتمع ملوك الارض طرًّا على الطاعة لسلطانه والخضوع لعزته والاقرار بأنه ملك الأقاليم والاعتراف بأنه رئيس الارض

وكان بعده من الملوك اليونانيين جماعة يعرفون بالبطالسة واحدهم (بطليموس) دانت لهم الممالك وذلت لهم الرقاب

ولم يزل ملكهم متصلا الى أن غلبهم عليه الروم فانقرض ملكهم من الارض وانتظمت مملكتهم مع مملكة الروم فصارت مملكة واحدة رومية كما فعلت الفرس بمملكة البابليين حين

استولت عليها وصيرت المملكتين مملكة واحدة فارسية

وكانت بلاد اليونان في الربع الغربي الشمالي من الارض ويحدها من جهة الجنوب البحر الرومي والثغور الشامية والثغور الخزروية ، ومن جهة الشمال بلاد (اللان) وما حاذاها من ممالك الشمال ، ومن جهة المغرب تخوم بلاد (رومانية) التي قاعدتها مدينة (رومية) ، ومن جهة المشرق مدينة (ارمينية) و (باب الابواب) و (الخليج) المعترض مابين بحر الروم وبحر (نيطش) الشمالي يتوسط بلاد اليونان فيصير القسم الاعظم منها في حيز المشرق منه والقسم الاصغر منها في جنوب المغرب منه

ولغة اليونانيين تسمى الاغريقية وهي من أوسع اللغات وأجلها وكانت عامة اليونانيين صابئة معظمة للكواكب دائنة بعبادة الاصنام

وكان علماؤهم يسمون فلاسفة واحدهم فيلسوف وهو اسم معناه باللغة اليونانيه (محب الحكمة)

وفلاسفة اليونانيين من أرفع الناس طبقة وأجل أهل العلم منزلة لما ظهر منهم الاعتناء الصحيح بفنون الحكمة من العلوم الرياضية والمنطقية والمعارف الطبيعية والالهية والسياسات المنزلية والمدنية

وأعظم هؤلاء الفلاسفة عند اليونانيين قدرا خمسة، فأولهم زمانا (بندقليس) ثم (فيثاغورس) ثم (سقراط) ثم (أفلاطون) ثم (ارسطاطاليس) بن (نيقوماخوس)

فأما (بندقليس) فكان فى زمن (داود) النبي عليه السلام على ماذكره العلماء بتواريخ الأمم وكان أخـذ الحكمة عن لقمان بالشام ثم انصرف الى بلاد اليونانيين فتكلم فى خلقة العالم بأشياء يقدح ظاهرها فى أمر المعاد فهجره لذلك بعضهم ، وطائفـة من الباطنية تنتهى الى حكمته ، وتزعم أن له رموزا ، قلما يوقف عليها

وكان (محمد بن عبـد الله بن مرة الجبلى الباطنى) من أهل قرطبة كلفا بفلسفته دؤوبا على دراستها

وكان أول من ذهب الى الجمع بين معانى صـفات الله تعالى وانها كلها تؤدى الى شئ واحـد وانه ان وصف بالعلم والجودة والقـدرة فليس هو ذا معان متميزة تختص بهذه الاسماء المختلفة بل هو الواحد بالحقيقة الذى لا يتكثر بوجه ما أصلا ، بخلاف سائر الموجودات فان الوحدانيات العالمية معرضة للتكثير اما بأجزائها واما بمعانيها واما بنظائرها (وذات البارئ) تعالى متعالية عن هذا كله والى هذا المذهب فى الصفات ذهب (أبوالهذيل) محمد بن

الهذيل بن العلاف المصرى

وأما (فيثاغورس) فكان بعد (بندقليس) بزمان وأخذ الحكمة عن أصحاب (سليمان) بن داود عليهما السلام بمصر حين دخلوا اليها من بلاد الشام

وكان قد أخذ الهندسة قبلهم عن المصريين ثم رجع الى بلاد اليونان وأدخل عندهم علم الهندسة ، وعلم الطبيعة ، وعلم الدين ، واستخرج بذكائه علم الالحان ، وتأليف النغم ، وأوقعها تحت النسب العددية وادعي انه استفاد ذلك من مشكاة النبوة وله فى نضد العالم وتركيبه على خواص العدد ومراتبه رموز عجيبة وأغراض بعيدة

وله فى شأن المعاد مذاهب قارب فيها (بندقليس) من أن فوق عالم الطبيعة عالما روحانيا نورانيا لا يدرك العقل حسنه وبهاءه وان النفس الزكية تشتاق اليه وان كل انسان أحسن تقويم نفسه بالتبرؤ من العجب ، والتجبر ، والرياء ، والحسد ، وغيرها من الشهوات الجسدانية ، فقد صار أهلا أن يلحق بالعالم الروحانى ، ويطلع على ماشاء من جواهره ، من الحكمة الالهية ، وان الاشياء الملذة للنفس تأتيه حينئذ ارسالا كالألحان الموسيقية الآتية الى حاسة السمع ولا يحتاج أن يتكلف لها طلب

و (لفيثاغورس) تآليف شريفة في (الارثماطيقى) و (الموسيقى) وغير ذلك

أما (سقراط) فكان من تلاميذ (فيثاغورس) واقتصر من الفلسفة على العلوم الالهية، وأعرض عن ملاذ الدنيا ، ورفضها وأعلن بمخالفة اليونانيين فى عبادتهم الاصنام ، وقابل رؤساءهم بالحجج والادلة فثوّروا العامة عليه ، واضطروا ملكهم الى قتله ، فأودعه الملك الحبس توصلا الى قلوبهم وتسكينا الى سائرتهم ثم سقاه السم تفاديا من شرهم بعد مناظرات جرت له مع الملك محفوظة

وله وصايا شريفة ، وآداب فاضلة ، وحكم مشهورة ومذاهب فى الصفات قريبة من مذاهب (فيثاغورس) و (بندقليس) الا أن له فى شأن المعاد آراء ضعيفة بعيدة عن محض الفلسفة ، خارجة عن المذاهب المحققة

وأما (افلاطون) فشارك (سقراط) فى الأخذ عن (فيثاغورس) الا أنه لم يشتهر بالحكمة الا من بعد سقراط

وكان شريف النسب من بيت علم واحتوى على جميع فنون الفلسفة وصنف كتباً كثيرة واشتهر جماعة من تلاميذه وكان يعلم الفلسفة وهو ماش فعرف هو وتلاميذه بالمشائين وفوض

التعليم والمدارسة فى آخر عمره الى ذوى البراعة من أصحابه ، وتخلى عن الناس وتجرد ، لعبادة ربه

ومن كتبه كتاب (فادن) فى النفس وكتاب (السياسة) المدنية و (طيماوس الروحانى) فى ترتيب العوالم الثلاثة العقلية التى هى عالم الربوبية ، وعالم العقل ، وعالم النفس ، وكتاب (طيماوس) الطبيعى فى تركيب عالم الطبيعة كتب هذين الكتابين الى تلميذ له يسمى (طيماوس)

وأما (ارسطاطاليس) فهو ابن (نيقوماخوس) الفيثاغورى وتفسير نيقوماخوس (قاهر الخصوم) وتفسير ارسطاطاليس (تام الفضيلة)

حكى ذلك أبو الحسن على بن الحسين بن على (المسعودى)

وكان (نيقوماخوس) فيثاغورى المذهب وله تآليف مشهورة فى الارثماطيقى وكان ابنه (ارسطاطاليس) تلميذ (افلاطون) ويقال انه لازمه عشرين سنة وكان (افلاطون) يؤثره على سائر تلاميذه ويسميه العاقل والى (ارسطاطاليس) انتهت فلسفة اليونانيين وهو خاتمة حكمائهم وسيد علمائهم وهو أول من خلص صناعة البرهان من سائر الصناعات المنطقية وصورها بالاشكال

الثلاثة وجعلها آلة للعلوم النظرية حتى لقب صاحب المنطق وله في جميع العلوم الفلسفية كتب شريفة كلية وجزئية

فالجزئية التي يتعلم منها معنى واحد فقط

والكلية بعضها تذاكر يتذاكر بقراءتها ماقد علم من علمه وهي السبعون كتابا التي وضعها (لاوفارس) وبعضها تعاليم يتعلم منها ثلاثة أشياء، أحدها علوم الفلسفة، والثاني أعمال الفلسفة والثالث الآلة المستعملة في علم الفلسفة، وغيره من العلوم

فالكتب التي في علوم الفلسفة بعضها في العلوم التعليمية وبعضها في العلوم الطبيعية وبعضها في العلوم الالهية

فأما الكتب التي في العلوم التعليمية فكتابه في (المناظر) وكتابه في (الخطوط) وكتابه في (الحيل)

وأما كتبه التي في العلوم الطبيعية فنها ما يتعلم منه الامور التي تعم جميع الطبائع ومنها مايتعلم منه الامور التي تخص كل واحد من الطبائع فالتي يتعلم منها الامور التي تعم جميع الطبائع هي كتابه المسمى (بسمع الكيان) فهذا الكتاب يعرف بعدد المبادي لجميع الاشياء الطبيعية، وبالاشياء التي هي كالمبادئ وبالاشياء التوالى للمبادئ وبالاشياء المشاكلة للتوالى، فأما المبادئ فالعنصر، والصورة

وأما التى كالمبادئ وليست بمبادئ حقيقية بل بالتقريب فالعدم وأما التوالى فالزمان والمكان ، وأما المشاكلة للتوالى فالخلاء وما لا نهاية له ، وأما الذى يتعلم منها الامور الخاصية لكل واحد من الطبائع فبعضها فى الاشياء التى لا كون لها وبعضها فى الاشياء المكونة ، أما الاشياء التى لا كون لها فالاشياء التى تتعلم من المقالتين الاوليتين من كتاب (السماء والعالم) وأما التى في الاشياء المكونة فبعض علمها عامى وبعضها خاصى فالعامى بعضه فى الاستحالات وبعضه فى الحركات ، أما الاستحالات ففى كتاب الكون والفساد

وأما الحركات ففى المقالتين الآخرتين من كتاب (السماء والعالم) وأما الخاصى فبعضه في البسائط وبعضه فى المركبات أما الذى فى البسائط ففى كتاب (الآثار العلوية)

وأما الذى فى المركبات فبعضه فى وصف كليات الأشياء المركبة وبعضه فى وصف أجزاء الاشياء المركبة ، أما الذى فى وصف كليات المركبات فى كتاب (الحيوان) وفى كتاب (النبات) وأما الذى فى وصف أجزاء المركبات ففى كتاب (النفس) وفي كتاب (الحس والمحسوس) وفي كتاب (الصحة ، والسقم) وفى كتاب (الشباب والهرم) ، وأما الكتب التى فى العلوم الالهية فمقالاته

الثلاث عشرة التى فى كتاب (مابعد الطبيعة)

وأما الكتب التى فى أعمال الفلسفة فبعضها فى اصلاح أخلاق النفس وبعضها فى السياسة

فأما التى فى اصلاح أخلاق النفس فكتابه الكبير الذى كتب به الى ابنه وكتابه الصغير الذى كتب الى ابنه أيضا وكتابه المسمى (اوذيميا)

وأما التى فى السياسة فبعضها فى سياسة المدن وبعضها فى سياسة المنزل

وأما الكتب التى في الآلات المستعملة فى علوم الفلسفة فهى كتبه الثمانيـة المنطقية التى لم يسبقه أحد ممن علمناه الى تأليفها ولا تقدمه الى جمعها

وقد ذكر ذلك ارسطاطاليس فى آخر الكتاب السادس منها وهو كتاب (سوفسطيقا) فقال

وأما صناعة المنطق وبناء (السلوجسموس) فلم نجد فيما خلا أصلا متقدما يبنى عليه ، لكنا وقفنا على ذلك بعد الجهد الشديد والنصب الطويل فهذه الصناعة وان كنا نحن ابتدعناها ، فقد حصّنّا جهتها ، وزممنا أصولها ، ولم نفقد شيئا مما ينبغى أن يكون

موجوداً فيها، كما فقدت أوائل الصناعات ، لكنها كاملة مستحكمة مثبتة أساسها ، مزمومة قواعدها ، وثيق بنيانها ، معروفة غاياتها واضحة أعلامها ، قد قدمت أمامها أركانا ممهدة ، ودعائم موطدة فمن عسى أن ترد عليه هذه الصناعة بعدنا فليغتفر خللا وجده فيها وليعتدبما بلغته الكلفة منا اعتداده بالمنة العظيمة واليد الجليلة ومن بلغ جهده بلغ عذره

وكان ارسطاطاليس معلم الاسكندر الملك بن (فيلفوس) بن الاسكندر المقدونى ، وبآدابه عمل فى سياسة رعيته وسيرة مملكته وانقمع به الشرك فى بلاد اليونانيين وظهر الخير وفاض العدل ولارسطاطاليس اليه رسائل كثيرة جليلة يحضه فيها على المسير لحرب (دارا) بن دار ملك الفرس

ومنها رسالة جاوبه بها عن كتاب اليه من أرض الهند يصف مارآه (فى بيت الذهب) بأعالى أرض الهند . وهو البيت الذى كان فيه البدرة ، وهي أحد الاصنام الممثلة بالجواهر العلوية . فجاوبه ارسطاطاليس بهذه الرسالة يعظه فيها ويزهده فى الدنيا ويرغبه فى النعيم الدائم ، فهؤلاء الخمسة هم سادة الحكماء عند اليونانيين والمعتنون بفنون الفلسفة ولهم فلاسفة مشهورون غير هؤلاء مثل (ثاليس)

الملطى صاحب فيثاغورس وذومقراطيس القائل بانحلال الاجسام الى جزء لا يتجزأ وله فى ذلك تآليف وانكساغوراس وغيرهم ممن كان قبل ارسطاطاليس ومعاصرا له ، وكان بعد ارسطاطاليس جماعة سلكوا سبيله وشرحوا كتبه فمن أجلهم (ثامسطيوس) و(الاسكندر) الافرودوسى و (وفرفوريوس) هؤلاء الثلاثة هم أعلم الناس بكتب فيلسوف وأوحدهم بكتب الفلسفة

ومن فلاسفة اليونانيين المتأخرين الذين كانوا في عهد الاسلام وفي مملكة بنى العباس معاصرا ليعقوب بن اسحق الكندى (قسطا بن لوقا) البعلبكى الشامى ، مشهور التحقق بالعدد والهندسة والنجوم والمنطق ، والعلوم الطبيعية

وكان ماهرا بصناعة الطب وله كتب مختصرة بارعة ، منها كتابه في المدخل الى الهندسة وهو مؤلف على المسئلة والجواب لا نظير له ، وكتابه فى المدخل الى علم الهيئة والأفلاك وحركات النجوم ، وكتابه فى الفرق بين الحيوان الناطق والصامت ، وكتابه فى الفرق بين النفس والروح ، وكتابه فى نسبة الاخلاط ، وكتابه فى غلبة الدم ، وغير ذلك من كتبه

وأما علماؤهم المشهورون ببعض علوم الفلسفة المعتنون بجزء

من أجزائها، فكثير فنهم ثم من المحتفين بعلوم الطبيعة والطب
(بقراط) سيد الطبيعين من علماء علوم الطبيعة ، وعلوم البرهان
وقد ضم (جالينوس) أسماء تآليفه الى فهرست يشتمل على أوراق
وذكر مرتبة قراءتها ، ونبه على طريق تعلمها ، وهى مائة ونيف
وقد قال أبو الحسن على بن الحسين (المسعودى) كان (جالينوس)
بعد (المسيح) عليه السلام بنحو مائتى سنة وبعد (ابقراط) بنحو
ستمائة سنة ، وبعد (الاسكندر) بنحو خمسمائة سنة ونيف ، ولا
أعلم من بعد (ارسطاطاليس) أعلم بعلم الطبيعة من هذين الفاضلين
أعنى (ابقراط) و (جالينوس) ومن الطبيعيين سوى هؤلاء
(الشماديس) و (اراسطرارطيس) و (لوقس) و (بوليس)
وغيرهم ممن اشتهر بالعلم الطبيعى ، الا أن أكثرهم ضعيف النظر
بعيد عن الصواب ، قد نبه (ارسطاطاليس) و (جالينوس) فى
كتبهما على خطإهم ، ورداً عليهم آراءهم بالحجج الصحيحة ،
والبراهين الواضحة

ومن علمائهم الرياضيين (أبولّونيوس) النجار صاحب
المخروطات المؤلف فى علم أحوال (الخطوط) المنحنية التى ليست
بمستقيمة ، ولا مقوسة

ومنهم (اقليدس) الصورى صاحب المدخل المشهور الى علم الهندسة المعروف بكتاب الاركان ، وصاحب كتاب المعروضات وكتاب المناظر ، وكتاب تأليف اللحون وغير ذلك

وقال أبو يوسف يعقوب بن اسحق (الكندى) فى بعض رسائله ان بعض الملوك اليونانيين وجد فى خزائن الكتب كتابين منسوبين الى (ابولونيوس) النجار ذكر فيهما صنعة الاجسام الخمسة التى لا يحيط ذكره بأكثرها فطلب من يفك له الكتابين فلم يجد الا اقليدس ، وكان أعلم أهل زمانه بالهندسة فبسط له أمر الكتابين وشرح له غرض (ابلونيوس) منهما ، ثم وضع له صدراً للوصول الى معرفة هذه المجسمات الخمسة ، فقام من ذلك المقالات الثلاث عشرة المنسوبة الى (اقليدس) ووصله بعد اقليدس من وصله بمقالتين ذكر فيهما ما لم يذكره (ابلونيوس) من نسبة هذه المجسمات الخمس بعضها الى بعض ، ورسم بعضها من بعض

ومنهم (ارشميدس) صاحب كتاب المسبع فى الدائرة وكتاب مساحة الدائرة ، وكتاب الكرة ، والاسطوانة المخروطة

ومنهم (فطون) صاحب العدد والمساحة ، وله فيها كتب مشهورة ، وكان في آخر مملكة اليونانيين

ومنهم (سنبلقيوس) وكان بعد (اقليدس)

ومنهم (قوميرس) و (انوسندونيرس)

ومنهم (طيمولاؤس) الراصد للكواكب الذى ذكر (بطليموس) بعض أرصاده فى كتابه وذكر ان وقته كان متقدما لوقته بأربعمائة سنة وعشرين سنة

ومنهم (ميلاوش) و (تاودوسيوس) صاحب الأُكَر

ومنهم (ميطن) و (اقطمين) الراصدان للكواكب بمدينة الاسكندرية من بلاد مصر وكانا قبل (بطليموس) بخمسمائة سنة واحدى وسبعين سنة

ومنهم «إفَرْخس» الفاضل صاحب الارصاد الصحيحة والمباحث الجليلة ، وكان بعد «ميطن» و «اقطيمن» بقريب من ثلثمائة سنة

ومنهم «بطليموس» القلوذى صاحب «المجسطى» وكتاب الجغرافيا ، وكتاب المناظر ، وكتاب المقالات الاربع فى أحكام النجوم ، وكتاب الموسيقى وكتاب الانواء ، وكتاب القانون الذى استخرجه من كتاب «المجسطى» وكان فى أيام «اندياموس» وأيام (أبطينوس) من ملوك الروم وبعد (إفَرْخس) بمائتى سنة

وثمانين سنة وكثير من الناس ممن يدعي المعرفة بأخبار الامم يجعله أحد البطالمة اليونانيين الذين ملكوا بعد الاسكندر ، وذلك خطأ بين ، وغلط واضح لان (بطليموس) ذكر في كتاب المجسطى وفى النوع الثالث من المقالة الثالثة منه الجامعة لجميع حركات الشمس وأرصادها ، وسائر أحوالها ، انه رصد اعتدالا خريفيا فى السنة التسع عشرة من سني (اذريانوس) فذكر انه تجمع من أول سنى (بخت نصر) الى وقت هذا الاعتدال الخريفى ، ثمانمائة سنة ، وتسع وتسعون سنة ، وثلاثون يوما ، وست ساعات ، وجزأ هذه السنين فقال انه يجتمع من أول سنى (بخت نصر) الى موت (الاسكندر) يعنى الماقدونى جد الاسكندر ذى القرنين أربعمائة سنة ، وأربع وعشرون سنة مصرية ومن موت الاسكندر الى ملك (أوغسطس) يعنى أول ملوك الروم مائتا سنة ، وأربع وتسعون سنة ومن أول سنة من سنى ملك (أوغسطس) الى وقت الرصد الخريفى المذكور مائتا سنة ، واحدى وستون سنة ، وستة وستون يوما ، وساعات ، فبين (بطليموس) بهذا التفصيل والتجميل حقيقة وقته ، وان عصره كان بعد عصر أوغسطس بمائة واحدى وستين سنة

وأجمع أهل العلم بأخبار الامم السالفة والمعرفة بتواريخ الاجيال الخالية ، ان أوغسطس هذا ملك رومى ، وانه تغلب على (قلوبطرا) آخر ملوك البطالمة اليونانيين ، وفى هذا ما يبين خطأ من زعم أنه أحد البطالمة الملوك وفيه كفاية ان شاء الله تعالى

والى (بطليموس) هذا انتهى الكلام على حركات النجوم ومعرفة أسرار الفلك ، وعنده اجتمع ما كان متفرقا من هذه الصناعة ، بأيدى اليونانيين ، والروم ، وغيرهم ، من ساكنى أهل الشق الغربى من الأرض ، وبه انتظم سيئها وتجلى غامضها وما أعلم أحدا بعده تعرض لتأليف مثل كتابه المعروف (بالمجسطى) ولا تعاطى معارضته بل تناوله بعضهم بالشرح والتبيين (كالفضل ابن حاتم التبريزى) وبعضهم بالاختصار والتقريب (كمحمد بن جابر البتّانى) وانما غاية العلماء بعده التى يجرون اليها ، وثمرة عنايتهم التى يتنافسون فيها ، فهم كتابه على ترتيبه ، وأحكام جميع أجزائه على تدريجه ولا أعرف كتابا ألف فى علم من العلوم قديمها ، وحديثها فاشتمل على جميع ذلك العلم ، وأحاط بجميع أجزاء ذلك الفن ، غير ثلاثة كتب أحدها كتاب (المجسطى) هذا فى علم الهيئة ، والفلك وحركات النجوم ، والثانى كتاب (ارسطاطاليس) فى علم صناعة

المنطق والثالث كتاب (سيبويه) البصرى فى علم النحو العربى ، فان هذه الكتب الثلاثة لا يشذ عن كل واحد منها من أصول علمه ، ولا من فروعه ، الا مالا خطر له ولله تعالى وحده مزية الاحاطة وفضيلة التمام لارب غيره ·

فهؤلاء شموس اليونانيين ومشاهيرهم فى الآفاق الذين انتفع الناس بآثارهم واستضاؤا بأنوارهم واهتدوا بأعلامهم، ولليونانيين بعد هذا عدة من الفلاسفة والحكماء ، قد قلد المؤلفون حكمهم وجمعوا نوادرهم

وذكر (حنين بن اسحق) الترجمان و (أبو نصر محمد بن نصر الفارابى) المنطقى وغيرهما من العلماء (بالفلسفة) ان فلاسفة اليونانيين سبع فرق ، سميت بسبعة أشياء ، اشتقت لها من سبعة أسماء ، أحدها من اسم الرجل المعلم الفلسفة ، والثانى من اسم البلد الذى كان فيه مبدأ ذلك العلم ، والثالث من اسم الموضع الذى كان يعلم فيه ، الرابع من اسم التدبر الذى كان يدبر به الخامس من الآراء التى كان يراها والسادس في الاراء التى كان يراها أصحابها فى الغرض الذي كان يقصد اليه في تعلم الفلسفة ، والسابع من الأفعال التى كانت تظهر عليه في تعليم الفلسفة

فأما الفرق المسماة من اسم الرجل المعلم للفلسفة فشيعة (فيثاغورس)

وأما الفرقة المسماة من اسم البلد الذى كان فيه الفيلسوف فشيعة « ارسطيقوس » من أهل قرادينا

وأما الفرقة المسماة من اسم الموضع الذى كان يعلم فيه الفلسفة فشيعة « كرسفّس » وهم أصحاب المظلة ، سموا بذلك لانهم كانوا يتعلمون فى رواق هيكل مدينة « أثينة »

وأما الفرقة المسماة من تدبير أصحابها ، وأخلاقهم فشيعة «ذيوجانس» ويعرفون بالكلابية وسموا بذلك لانهم كانوا يرون اطراح الفرائض المفترضة على الناس فى المدن ، ومحبة أقاربهم وبغض غيرهم من سائر الناس ، وانما يوجد هذا الخلق فى الكلاب

وأما الفرقة المسماة من الآراء التى كان يراها أصحابها فى الفلسفة فشيعة (فورون)

وأما الفرقة المسماة من الآراء التي كان يراها أصحابها فى الغرض الذى كان يقصد اليه فى تعلم الفلسفة ، فشيعة (أفيغورس) ويسمون أصحاب اللذة لانهم يرون الغرض المقصود اليه فى تعلم الفلسفة اللذة التابعة لمعرفتها

وأما الفرقة المسماة من الافعال التى كانت تظهر عليها ، فشيعة (أفلاطون) و(ارسطاطاليس) و يعرفون بالمشائين لان (افلاطون) و(ارسطاطاليس) كانا يعلمان الناس وهما يمشيان كيما يرتاض البدن مع رياضة النفس ، فهذه طبقات الفلاسفة اليونانيين

وأجلهم فرقتان فرقة (فيثاغورس) وفرقة (افلاطون) و (ارسطاطاليس) وهاتان الفرقتان هما ركنا الفلسفة ، وعموداها وكان قدماء هؤلاء الفلاسفة ينتحلون الفلسفة الاولى الطبيعية التى كانت تذهب اليها شيعة (فيثاغورس) و (ثاليس) الملطى وعوام الصابئة من اليونانيين ، والمصريين ، ثم مال متاخروهم الى الفلسفة المدنية (سقراط) و (افلاطون) و (ارسطاطاليس) وأشياعهم وقد ذكر (ارسطاطاليس) في كتابه في الحيوان فقال

لما كان منذ مائة سنة وذلك منذ زمان (سقراط) مال الناس عن الفلسفة الطبيعية ، الى الفلسفة المدنية

قال صاعد — وقد صنف جماعة من المتأخرين كتبا على مذهب (فيثاغورس) وأشياعه وانتصروا فيها للفلسفة الطبيعية القديمة

وممن صنف فى ذلك أبو بكر محمد بن زكريا (الرازى) وكان شديد الانحراف عن (ارسطاطاليس) وعائبا له فى مفارقته معلمه

(افلاطون) وغيره من متقدمى الفلاسفة فى كثير من آرائهم

وكان يزعم انه أفسد الفلسفة ، وغير كثيرا من أصولها وما أظن (الرازى) احنقه على (ارسطاطاليس) وحداه الى تنقصه الا ما أتاه (ارسطاطاليس) وأراد (الرازى) مخاصمته أي كتابه فى العلم الالهى ، وكتابه من الطب الروحانى وغير ذلك من كتبه الدالة على استحسانه لمذهب الثنوية فى الاشراك ، ولآراء البراهمة فى ابطال النبوة ، ولاعتقاد عوام الصابئة التناسخ ،ولو أن (الرازى) وفقه الله للرشد وحبب اليه نصر الحق لوصف (ارسطاطاليس) بأنه محص آراء الفلسفة ، ونخل مذاهب الحكماء ، فنفى خبثها وأسقط غثها ، وانتقى لبابها ، واصطفى خيارها ، فاعتقد منها ماتوجبه العقول السليمة ، وتراه البصائر النافذة وتدين به النفوس الطيبة وأصبح امام الحكماء ، وجامع فضائل العلماء ،

وليس على الله بمستنكر   أن يجمع العالم فى واحد

العلم في الروم

وأما الأمة الخامسة وهى الروم فأمة ضخمة المملكة ، فخمة الملوك ، وكانت بلادهم مجاورة لبلاد اليونانيين ، ولغتهم مخالفة للغتهم

فلغة اليونانيين (الأغريقيّة) ولغة الروم (اللاطينية) وكان حد بلاد الروم من جهة الجنوب البحر الرومى الممتد طولا من المغرب الى المشرق ما بين (طنجة) الى (الشام)

وحدها من جهة الشمال بعض ممالك الامم الشمالية من الروس والبلغر ، وغيرهم ، مع طائفة من البحر الغربى الاعظم المحيط المعروف (بأوقيانوس)

وحدها من جهة المشرق تخوم بلاد اليونانيين وحدها من جهة المغرب في أقصى الاندلس البحر الغربى الاعظم المعروف (بأوقيانوس)

وكانت هذه الممالك ثلاثة قطع يتميز بعضها من بعض تلوها من جهة المشرق وما يتاخم بلاد اليونانيين بلاد (المانية) ثم أوسطها بلاد (افرنسة) ثم آخرها بلاد (الأندلس) فى أقصى الغرب وطرف المعمور

وكانت قاعدة هذه المملكة كلها مدينة (رومية) العظمى من بلاد (المانية)

وكان بانيها (روملش) اللطينى واليه تنسب وهو أول ملك مشهور من ملوك الروم

وكان بنيان (رومية) قبل مولد المسيح عليه السلام وتملك اللطينيين فى هذه المملكة المحدودة بعد بناء (رومية) سبعمائة سنة وخمس وعشرين سنة الى قيام (اغسطس) أول ملوك (القياصرة) ثم تغلب (اغسطس) هذا على ملوك اليونانيين ، وأضاف مملكتهم الى مملكته فصارتا مملكة واحدة (رومية) عظيمة الشأن طولها من المشرق الى المغرب نحو مائة مرحلة من تخوم بلاد (أرمينية) الى أقصى بلاد (الاندلس) فى المغرب وصارت مدينة (رومية) قاعدة هاتين المملكتين

ودامت كذلك ثلاثمائة سنة وخمسا وثلاثين سنة الى أن قام « قسطنطين » ابن هيلانى بدين المسيح ورفض دين الصابئة وبنى مدينة على الخليج وهى المنسوبة اليه المعرفة بالقسطنطينية فى وسط بلاد اليونانيين واستوطنها فصارت من حينئذ قاعدة ملك الروم الى وقتنا هذا واستخلف منذ ذلك ملوك الروم على مدينة رومية ثقاتهم من اللطينيين فكانوا عمالهم متصرفين تحت أمرهم فيها لا يسمون ملوكا ولا يتوجون

ولم يزل ملوك الروم على هذه الحالة من اتصال تملكهم وانتظام أمرهم ، فى هذه البلاد كلها الى أن خرج بعد زمان طويل

عن طاعتهم من قوى أمره من الأمم التى كانت منقادة اليهم من الصقالبة ، والبرجان ، وغيرهم ، وتميزت كل أمة بمملكتها ، وكان من آخر من خرج عن طاعتهم ملك ، رومية وذلك فى سنة أربعين وثلاثمائة من (الهجرة) حين قوى ملكه وكثرت مجموعة الملة فلبس التاج وتسمى ملكا وأنفذ اليه (قسطنطين) بن (إليون) ملك الروم عند ذلك الجيوش فعادت منكوبة ، فصالحه حينئذ ورضى بسلمه وتميزت بذلك مملكة اللطينيين من مملكة الاغريقيين من جهة مغاربها الى مايلى بلاد (القسطنطينية) وبعدت أعمالهم من أعمال رومية بمن توسط بينهما من فرق الترك المتاخمة هناك والمخربة لكثير من عمائره فلايصل أحداليوم من (القسطنطينية) الى رومية الا فى البحر

وكان الروم قديما صابئة الى أن دان (قسطنطين) بن هيلانى بانى القسطنطينية بدين النصرانية ودعا الروم الى التشرع به فأطاعوه وتنصروا عن آخرهم ، ورفضوا دينهم ، من تعظيم الهيا كل ، وعبادة الأوثان ، وغير ذلك من شريعة الصابئة ، ولم يزل دين النصرانية يظهر ويقوى الى أن دخل فيه أكثر الأمم المجاورة للروم من الجلالقة والصقالبة والبرجان والروس وجميع أهل مصر من القبط

وغيرهم ، وجميع أصناف السودان من الحبشة والنوبة ومن سواهم

وكان للروم بمدينة (رومية) وغيرها حكماء جلّة ، وعلماء بأنواع الفلسفة ، وكثير من الناس يقولون ان الفلاسفة المشهورين اللذين قدمنا ذكرهم فى عدد اليونانيين روميون ، والصحيح انهم يونانيون على ماقدمنا ، ولتجاور هاتين الأمتين ، وتلاصق دورهم وانتقال الملك من احداهما الى الاخرى ، حتى صار البلدان واحداً والمملكة واحدة ، ودخل بعضهم فى بعض ، فاختلط على كثير من الناس خبر علمائهم ، وصعب عليهم تميز فلاسفتهم وكلا الأمتين عند أهل التحقيق بعلم الأخبار ومعرفة أهل السير مشهورة العناية بالفلسفة ، رفيعة المحل فى أهل العلم الا أن لليونانيين من المزية فى ذلك والفضل مالا ينكره الرومانيون ولا سواهم والله تعالى أعلم

وكان فى الدولة العباسية من ملوك الاسلام جماعة من النصارى والصابئين علماء بفنون العلم ، لا أعلم أمن اليونانيين هم ، أم من الروم ، أم غيرهم من الأمم المجاورة لهم

فمن النصارى (بختيشوع) خدم أبا العباس (السفاح) وصحبه وعالجه ثم خدم (أبا جعفر المنصور) بعده فلما توفى حل ابنه محله بعده عند ملوك بنى العباس ، ولبختيشوع تاليف فى الطب معروفة

ومنهم (يوحنا بن ماسويه) خدم فى صناعة الطب (هارون) الرشيد و (المأمون) وبقى الى أيام (المتوكل) وكان قلده هارون ترجمة الكتب القديمة التى وجدت (بأنقرة) وبغيرها من بلاد الروم حين افتتحها المسلمون فترجم منها كثيراً ، اذ له فى الطب تآليف عظيمة القدر ككتاب (البرهان) وكتاب (البصيرة) وكتاب (الكمال) وكتاب (الحميات) وكتاب (الفصدوالحجامة) وكتاب (الجذام) وكتاب (الحمام) وكتاب (اصطلاح الاغذية) وكتاب (المعدة) وكتاب(الادوية المسهلة) والكناش، المعروف (بالمشجر) وغير ذلك

ومنهم (حنين) بن اسحق أبو زيد تلميذ (يوحنابن ماسويه) أحد أئمة التراجمة بالاسلام ، وكان عالما باليونانية والعربية وتعلم العربية فى البصرة من (الخليل) بن أحمد وهوأدخل كتاب (العين) بغداد ولم يكن الخليل بن أحمد بأرض فارس ، وانما كان بالبصرة ، وتوفى بها في سنة (سبع ومائتين) وبين وفاته ووفات حنين المذكور تسعون سنة فانظر

وذكر « ابن النديم » فى *الفهرست* ان « حنينا » مات فى يوم الثلاثاء لست خلون من صفر سنة ستين ومائتين وهو الصواب

ومات « اسحق » بن حنين فى سنة ٢٩٨ وقال « أبو معشر » فى كتاب المذاكرات ان حذاق الترجمة بالاسلام أربعة « حنين » بن اسحق ويعقوب بن اسحق « الكندى » و« ثابت » بن قرة الحرانى و « عمر بن فرّخان الطبرى »

قال صاعد وحنين هذا هو الذى أوضح ترجمة كتب « ابقراط » و«جالينوس » ولخصها أحسن تلخيص ، وله تآليف بارعة ، وموضوعات شريفة ، منها كتابه فى المنطق ، وكتابه فى مدخل المنطق وكتابه فى الاغذية ، وكتابه فى تدبير الناقهين وكتابه فى الادوية المسهلة ، وغير ذلك من كتبه ، ومات حنين فى أيام (المتوكل) وخلف ولدين سمى أحدهما (اسحق) والآخر (داود) فأما اسحق فخلف أباه على الترجمة ، وكان بارعا ومقدما فى العلوم الرياضية ، وأما داود فطبيب محسن

ومنهم (مسيح) بن حكيم صاحب الكناش المشهور

ومنهم (نسطاس) بن جريج المصرى كان فى دولة (الاخشيد) ابن طفج ، وكان عالما بالطب بارعا فيه ومن الصابئين أبو الحسن (ثابت بن قرة الحرانى) فيلسوف متوسع فى العلوم ، متفنن فى ضروب الحكم ، متقلد لجوامع الفلسفة ، له تآليف حسنة فى المنطق ،

والعدد والهندسة ، والنجوم وغير ذلك وكان معاصرا ليعقوب بن اسحق (الكندى) و (قسطا) ابن لوقا وكانوا ثلاثتهم أعلاما في مملكة الاسلام بعلم الفلسفة فى وقتهم

و (لثابت) ارصاد حسنة للشمس تولاها ببغداد فى خلافة (المأمون) جمعها فى كتاب بين مذاهبه فى السنة الشمسية وما أدركه بالرصد من موضع أوجها ، ومقدار سنتها ، وكمية حركتها ، وصورة تعديلها

وكان له ابن يسمى (سنان) بن ثابت عالم بالعدد والهندسة والطب وابنه (ثابت) بن سنان بن ثابت أحد المحققين بصناعة الطب كان فى أيام (المطيع) وفى امارة أحمد بن بويه الديلمى الاقطع المعروف « بمعز الدولة » وذكر ابن النديم فى كتابه « الفهرست » ان ثابت بن قرة مولده سنة احدى وعشرين ومائتين وتوفى سنة ثمان وثمانين ومائتين ولم يدرك ثابت خلافة « المأمون » بل ولد فى صدر خلافة « المعتصم » ومات سنان سنة ٣٣١ ومات ابنه سنة ٣٦٥

العلوم في أهل مصر

أما الامة السادسة وهى أهل مصر فكانوا أهل ملك عظيم وعز قديم ، فى الدهور الخالية ، والازمان السالفة ، يدل على ذلك آثارهم فى عمائرهم ، وهيا كلهم ، وبيوت علمهم ، الموجود أكثرها فى الاقليم الى يومنا هذا ، وهى آثار أجمع أهل الارض انه لا مثيل لها فى اقليم من الاقاليم ، فأما ما كان قبل الطوفان فجهل خبره وبقى أثره مثل (الاهرام) و (البرابى) و (المغاور) المنحوتة فى جبال الاقليم الى غير ذلك من الآثار الموجودة

وأما بعد الطوفان فقد صار أهل الاقليم اخلاطا من الأمم ما بين قبطى ، ويونانى ، وروى ، وعمليق ، وغيرهم ، الا أن جمرتهم قبط ، وانما صاروا اخلاطاً لكثرة من تداول ملك مصر من الامم السالفة من العمالقة ، واليونانيين ، والروم ، واختلطت الامم فيها لذلك ، وخفى على الناس تخليص أنسابهم ، فاقتصر من التعريف بهم على نسبتهم الى موضعهم وحد بلاد مصر فى الطول من (برقة) التى هى جنوب (البحر الرومى) الى (ايلة) من ساحل الخليج الخارج من بحر الحبشة ، والزنج ، والهند ، والصين ، ومسافة ذلك

قريبة من أربعين يوماً وحدها فى العرض من مدينـة (اسوان) التى بأعلى مصر ومساحتها من أرض الصعيدالاعلى المتاخم لارض النوبة الى مدينة (رشيد) وما حاذاها من مساقط النيل فى البحر الرومى وما اتصل بذلك ومسافته قريبة من ثلاثين يوماً

وكان أهل مصر في سالف الازمان صابئة تعبـد الاصنام وتدبر الهياكل ، ثم تنصرت عند ظهور دين النصرانية ، ولم تزل على ذلك الى أن فتحها المسلمون وأسـلم بعضهم وبقى سائرهم على دينهم أهل ذمة الى اليوم

وكان لقدماء أهل مصر الذين كانوا قبل الطوفان عناية بأنواع العـلوم ، وبحث عن غوامض الحكم ، وكانوا يرون انه كان فى عالم الكون والفساد قبل نوع الانسان ، أنواع كثيرة من الحيوان على صور غريبـة وتراكيب شاذة ، ثم كان نوع الانسان فغلب تلك الانواع وقاتلها حتى أفنى أكثرها ، وشرد بقيتها ، الى البرارى والفلوات ، فمنهم الغيلان ، والسعالى ، وغير ذلك مما ذكره عنهم الوصفى في تاريخه المؤلف فى اخبار مصر ، فان كان ذلك حقا فما أبعدهم في هذا الرأى من نظام الحكمة ، وقانون الفلسفة

وذكر جماعة من العلماء أن جميع العـلوم التى ظهرت قبـل

الطوفان انما صدرت عن (هرمس) الاول الساكن بصعيد مصر الأعلى وهو الذي يسميه العبرانيون خنوخ بن يارد بن مهلائيل بن انوش بن شيث بن آدم عليه السلام وهو (ادريس) النبي عليه السلام وقالوا انه أول من تكلم فى الجواهر العلوية، والحركات النجومية، وأول من بنى الهياكل، ومجد الله تعالى فيها، وأول من نظر فى علم الطب، وألف لاهل زمانه قصائد موزونة، فى الاشياء الارضية والسماوية، وقالوا انه أول من أنذر بالطوفان ورأى ان آفة سماوية تلحق الارض من الماء والنار فخاف ذهاب العلم، ودروس الصنائع، فبنى الاهرام، والبرابى فى صعيد مصر الاعلى، وصور فيها جميع الصنائع والآلات، ورسم فيها صفات العلوم حرصاً منه على تخليدها لمن بعده، وخيفة أن يذهب رسمها من العالم

قال صاعد — وكان بمصر بعد الطوفان علماء بضروب الفلسفة من العلوم الرياضية، والطبيعية والالهية، وخاصة بعلم الطلسمات والنيرنجات، والمرآى المحرقة، والكيمياء وغير ذلك، وكانت دار الملك والعلم بمصر فى قديم الدهر مدينة (منف) وهى على اثنى عشر ميلا من الفساط فلما بنى الاسكندر مدينة الاسكندرية رغب الناس فى عمارتها لحسن هوائها، وطيب مائها، فكانت دار

العلم والحكمة بمصر، الى أن تغلب عليها المسلمون واختط (عمرو ابن العاص) على نيل مصر مدينته المعروفة بفسطاط مصر فانسرب أهل مصر وغيرهم من العرب والعجم الى سكانها فصارت قاعدة مصر حينئذ الى اليوم

ومن قدماء العلماء بمصر (هرمس) الثانى ، وكان فيلسوفا جوالا فى البلاد ، طوافا على المدائن عالما بالبلاد ونصبها ، وطبائع أهلها ، وله كتاب جليل فى صناعة الكيميا وكتاب فى الحيوانات ذوات السموم

ومن علمائهم بعده بصناعة العدد (برقلس) الاسكندرانى صاحب المقالات الاربع فى طبيعة العدد وخواصه

ومن علمائهم بالهندسة وعلم هيئة الافلاك وحركات النجوم (ثاؤن) الاسكندرانى صاحب كتاب (الافلاك) فذكر فيه هيئة الافلاك وعددها وكمية حركات الكواكب ، ذكرا مرسلا مجردا من البرهان على ماذهب اليه (بطليموس) فى كتاب (المجسطى) وأما كتاب القانون فانه اختصر فيه تعديل الكواكب وصور تقويمها ، على رأى (بطليموس) وزاد فيه حساب حركات اقبال الفلك وأدباره على رأى أصحاب الطلسمات

ومن علمائهم ورؤسهم صاحب الكتب الجليلة فى صناعة الكيمياء
ومنهم الاسكندرانيون اللذين اختصروا كتب (جالينوس) الحكيم وألفوها على المسئلة والجواب ودل حسن اختصارهم لها على معرفتهم بجوامع الكلم واتقانهم لصناعة الطب وكان رئيسهم (انقيلاوس) الذى جمع من منثور كلام (جالينوس) ثلاث عشرة مقالة فى أسرار الحركات ألفها فيمن جامع وبه علة مزمنة فذكر مايولد عليه ذلك وما يدفع به ضرره

ومن علمائهم بأحكام النجوم (واليس) صاحب الكتاب المعروف (باليرندج) الرومى المؤلف من المواليد وما يتقدمها من المدخل الى علم أحكام النجوم وذكر عنه (ألاندوز) في كتابه المؤلف فى المواليد ان كتبه العشرة فى المواليد جامعة لقوة سائر الكتب وان (واليس) قال وان كل علم يزعمون أنه ليس في كتبه هذه فلا أصدق انه كان أو يكون ولا أعلم لاحد ممن ذكرت من علماء الاسكندرية زمانا محدوداً ولا خبراً مستقصى ولا وصل الينا من حكمتهم الا القليل النزر بالاضافة الى ماتشهد به آثارهم بصعيد مصر ومصانعهم الجليلة فى سائر نواحيها من عجائب البرابى وغرائبها الدالة على سعة علمهم والمنبئة على نفاسة أخطارهم

العلوم عند العرب

وأما الامة السابعة وهى العرب ، فنهم فرقتان ، فرقة بائدة وفرقة باقية ، فأما الفرقة البائدة ، فكانت أمماً ضخمة كعاد ، وثمود وطسم ، وجديس ، والعمالقة ، وجرهم ، أبادهم الزمان ، وأفناهم الدهر ، بعد أن سلف لهم فى الارض ملك جليل ، وخبر مشهور لاينكر لهم ذلك أحد من أهل العلم بالقرون الماضية والأجيال ولتقادم انقراضهم ذهبت حقائق أخبارهم ، وانقطعت عنا أسباب العلم بآثارهم

وأما الفرقة الباقية ، فهى متفرعة من جذمين ، قحطان وعدنان ، ويضمها جميعا حالان ، حال (الجاهلية)وحال(الاسلام)

فأما حال العرب فى الجاهلية ، فمشهورة عند الأمم من العز والمنعة وكان ملكهم فى قحطان ، ثم في سبع قبائل منها ، وهى حمير ، وهمدان وكندة ، ولخم ، ودوس ، وجفنة

وكان بيت الملك فيهم (بنى الصوار) من عبد شمس بن وائل بن الغوث بن حيران بن قيطان بن عريب بن زهير بن أيمن ابن أبى الهميسع بن حمير وسائر الملوك أتباع ، فكان من بنى الصوار

الملوك السادة ، والجبابرة ، والتبابعة أهل الشرف القديم ، والعز التليد ، والملك الموطد ، والمجد المؤثل ، الذين دوخوا البلاد وضعضعوا الممالك ، وتركوا الآثار العظيمة ، والاخبار الشريفة في مشارق الأرض ومغاربها ، وجنوبها ، وشمالها (كيعرب) بن قحطان و (سبا) بن يشخب و (الحرث) الرائش و (ابرهة) ذي المنار و (عمرو) ذي الأذعار و (أفريقس) باني افريقية و (سمر برعش) باني سمرقند و (تبع) الاكبر و (تبع) الاوسط واسمه اسعد ويكنى أبا بكر وهو الذي يقول فيه (أبو تمام) حبيب بن أوس الطائي ويصف (عمورية)

وبرزة الوجه قد أعيت رياضتها

كسرى وصدت صدوداعن أبي كرب

و (تبع) الاصغر وهو عمرو بن حسان بن أبي كرب وكان لهؤلاء الملوك مذهب في آثار أحكام النجوم وميل الى معرفة طبائعها وزعم أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب (الهمداني) في كتاب (الاكليل) المؤلف في أخبار (حمير) وانسابها ان ملوك (حمير) لم يكونوا يستعملون من قوادهم ، ولايصرفون عن كفاتهم ، الا من عرفوا مولده ، ووجدوا أدلته من البروج والكواكب موافقة

لأدلتهم ، ومشاكلة لها

وانما كانوا اذا أرادوا غزو أمة من الأمم ، تخيروا لذلك الاوقات السعيدة ، والطوالع المشاكلة لميواليدهم والملائمة لنصب دولتهم ، ومكثوا فى ارتيادها الازمان الطويلة ، حتى تمكنهم على اختيارهم ، فكانوا يبلغون بهذا حيث شاؤا من المراتب العلية والمنازل الرفيعة من الظفر بالاعداء ، وبعد الصيت فى البلاد

قال صاعد ولم تكن ملوك (حمير) معتنية بارصاد الكواكب ولا باختيار حركتها ، ولا بايثار شئ من علوم الفلسفة وكذلك كان سائر ملوك (العرب) فى الجاهلية ، ولم يبلغنا عن أحد منهم انه بحث عن شئ من ذلك

وأما سائر عرب (الجاهلية) بعد الملوك منهم فكانوا طبقتين أهل (مدر) وأهل (وبر)

فأما أهل المدر فهم أهل الحضر وسكان القرى وكانوا يحاولون المعيشة من الزرع ، والنخل ، والكرم ، والماشية ، والضرب فى الارض للتجارة ، وغير ذلك من ضروب الاكتساب ، ولم يكن فيهم عالم مذكور ، ولا حكيم مشهور

وأما أهل الوبر فهم قطان الصحارى ، وعمار الفلوات وكانوا

يعيشون من ألبان الابل ولحومها ، وكانوا زمان (النجعة) ووقت (النّبدىّ) يراعون جهات ايماض البرق ، ومنشأ السحاب ، وجلجلة الرعد ، فيؤمون منتجعين لمنابت الكلأ مرتادين لمواقع القطر ويخيمون هنالك ماساعدهم الخصب ، وأمكنهم الرعي ، ثم يقومون لطلب العشب ، وابتغاء المياه ، فلا يزالون في حل ورحال كما قال (المثقب العبدى) فى ناقته

تقول اذا درأت لها وضيني   أهذا دينه أبدا وديني

أكلّ الدهر حل وارتحال   أما تبقى على ولا تقيني

فكان ذلك دأبهم زمان الصيف ، والقيظ ، والربيع ، فاذا جاء الشتاء ، واقشعرت الارض ، ومدت انكمشوا الى رياف العراق وأطراف الشام ، وركبوا الى القرب من الحواضر ، والدنو من القرى ، فشتوا هنالك مقاسين جهد الزمان ، ومصطبرين على جهد العيش ، وهم خلال ذلك يتواخون بقوتهم ، ويتشاركون فى بلغتهم مدمنون على اباء الضيم ، ونصر الجار ، والذب عن الحرم

وكانت أديانهم مع ذلك مختلفة ـ فكانت حمير تعبد (الشمس) وكنانة (القمر) وتميم (الدّبران) ولخم وجذام (المشترى) وطئ (سهيلا) وقيس (الشعرى العبور) واسد (عطاردا)

وكانت (ثقيف) و (اياد) تعبد شيئا بأعلى نخلة يقال له (اللات) ثم عبدت اياد وبكر بن وائل (كعبة سنداد)

وكان لحنيفة صنم يعبدونه من (حيس) فلحقهم مجاعة فى بعض السنين فأكلوه ، فقال في ذلك بعض الشعراء

أكلت حنيفة ربها ‏ ‏ ‏ عام التقحم والمجاعه

لم يحذروا من ربهم ‏ ‏ ‏ سوء العواقب والتباعه

قال ابن قتيبة ـ كانت النصرانية فى ربيعة ، وغسان وبعض قضاعة ، وكانت اليهودية فى حمير ، وبنى كنانة ، وبنى الحرث بن كعب وكندة ، وكانت المجوسية فى تميم منهم (زرارة بن عدس) وابنه (حاجب) و (الاقرع) بن حابس و (أبو سود) جد وكيع ابن حسان بن أبى سود وكانت الزندقة فى قريش، أخذوها عن أهل الحيرة ، وكانت عبادة الأوثان فاشية فى (العرب) حتى جاء الاسلام

قال صاعد وجمع عبدة الاوثان من (العرب) موحدة لله تعالى ، وانما كانت عبادتهم لها ضربا من التدين بدين الصابئة ، فى تعظيم الكواكب والاصنام الممثلة بها فى الهيا كل لا على مايعتقده الجهال بديانات الامم ، وآراء الفرق من أن عبدة الأوثان ترى ان

الاوثان هى الآلهة الخالقة للعالم ، ولم يعتقد قط هذا الرأى صاحب فكرة ولا دان به صاحب العقل دليل ذلك قول الله تبارك وتعالى (مانعبدهم إلاّ ليقرّبونا إلى الله زُلفى) وجاء نص القرآن بمخالفتهم فى البعث ، والنشور ، ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم فكان جمهورهم ينكر ذلك ، لا يصدق بالمعاد ، ولا يقول بالجزاء ويرى ان العالم لا يخرب ولا يبيد ، وان كان مخلوقا مبتدعا وكان فيهم من يقر بالمعاد ، ويعتقد ان نحرت ناقته على قبره حشر راكبا ومن لم يفعل ذلك حشر ماشيا ، وفي ذلك يقول (جريبة بن الأشيم الفقعسى) يوصى ابنه

ياسعد اما أهلكنّ فاننى	أوصيك ان أخا الوصاة الاقرب
لا تتركن أباك يمشى خلفهم	تعباً يخر على اليدين وينكب
احمل أباك على بعير صالح	وابق الخطيئة انه هو أصوب
ولعل مالى ما تركت مطية	فى البهم أركبها اذا قيل اركبوا

فهذه كانت ديانات (العرب) ـ وأما علمها الذى كانت تتفاخر به وتبارى به ، فعلم لسانها ، واحكام لغتها ، ونظم الاشعار ، وتأليف الخطب ، وكانت مع ذلك أصل علم الاخبار ، ومعدن معرفة السير والامصار

قال أبو محمد الهمدانى ـ ليس يوصل الى خبر من أخبار العجم والعرب الا بالعرب ومنهم ، وذلك ان من سكن بمكة من (العماليق) و (جرهم) و آل السميدع) بن هونة و (خزاعة) أحاطوا بعلم العرب العاربة ، والفراعين العاتية ، وأخبار أهل الكتاب

وكانوا يدخلون البلاد للتجارة فيعرفون أخبار الناس، وكذلك من سكن الحيرة وجاوروا الأعاجم من عهد اسعد (أبى كرب) و (بخت نصر) حووا علم الاعاجم ، وأخبارهم ، وأيام (حمير) ومسيرها فى البلاد ، وعنهم صار أكثر مارواه (عبيد بن شرية) و (محمد بن السائب الكلبى) و (الهيثم بن عدى) وكذلك من وقع بالشام من مشائخ (غسان) خبير بأخبار الروم ، وبنى اسرائيل واليونانيين ، ومن وقع بالبحرين من (تنوخ) و (اياد) فمنه أتت أخبار (طسم) و (جديس) ومن وقع من ولد نصر من (الازد) بعمان فمنه أتى كثير من أخبار (السند) و (الهند) وشئ من أخبار فارس ، ومن وقع (بجبلى طىء) فمنه أتت أخبار (آل أذينة) و (الجرامقة) ومن سكن باليمن ، فانه علم أخبار الامم جميعاً ، لانه كان فى دار مملكة (حمير) وفى ظل الملوك السيارة الى الشرق والغرب ، والجنوب ، والشمال ، ولم يكن ملك منهم يغزو الا

عرف البلاد وأهلها ، والعرب أصحاب حفظ ورواية ، لخفة الكلام عليهم ، ورقة ألسنتهم ، لانهم تحت نطاق تلك البروج الذى ترسمه الشمس بسيرها ، وتجرى فيه الكواكب السبعة الدالة على جميع الاشياء

وكان للعرب مع هذا معرفة بأوقات مطالع النجوم ومغاربها وعلم بأنواء الكواكب وأمطارها ، على حسب ما أدركوه بفرط العناية ، وطول التجربة ، لاحتياجهم الى معرفة ذلك فى أسباب المعيشة لا على طريق تعلم الحقائق ، ولا على سبيل التدرب في العلوم (ولابى حنيفة الدينورى) أحمد بن داود اللغوى ـ كتاب شريف فى (الانواء) تضمن ما كان عند العرب من العلم بالسماء والانواء ومهاب الرياح ، وتفصيل الازمان ، وغير ذلك من هذا الفن

فهذا ما كان عند العرب من المعرفة ، وأما علم الفلسفة ، فلم يمنحهم الله عز وجل شيئا منه ، ولا هيأ طباعهم للعناية به ، ولا أعلم أحداً من صميم العرب شهر به الا أبا يوسف يعقوب بن اسحاق الكندى ، وأبا محمد الحسن الهمدانى ، وسيأتى ذكرهما فى موضعه ان شاء الله

وأما بلاد العرب فهى معروفة (بجزيرة العرب) سميت

بذلك لان البحر محيط بهـا من جهاتها الثلاث ، التى هى المغرب والجنوب،والمشرق ، فنى مغربها خليج جدة ، والجار،وايلة ، والقلزم والخارج من البحر الـكبير بحر الزنج ، والهند ، وفى جنوبها بحر عـدن ، وهو البحر الكبير ، وفى شرقها خليج عمان ، والبحرين والبصرة، وأرض فارس، والخارج أيضاً من بحر الهند

وأما شمال جزيرة العرب ، فأطراف الشام وجهات بلادها الجنوبية ما بين الحجر ، وهو بلاد (ثمود) الى (دومـة الجندل) وما اتصل بها من البلاد المطلة على (السماوة)

وجزيرة العرب ، أربعة أجزاء كبار وهى (الحجاز) و (نجد) و (تهامة) (اليمن) ومسافة الجزيرة فى الطول وذلك بين (عدن) وبين أطراف الشام نحو من الاربعين مرحلة ،ومسافتها فى العرض وذلك ما بين ساحل بحر (أيله) و (الجار) و (جدة) وبين (العذيب) وما اتصل من ريف العراق نحو من خمس وعشرين مرحلة

فأما ليمن ـ وكانت دار (قحطان) الى خراب (مارب) وما اتصل بهـا من أرض اليمن فى أيام (شمّر يرعش) من ملوك حمير وفى أيام (داود) عليـه السلام من ملوك بنى اسرائيل وفى أيام (كيخسرو) الثالث من ملوك الطبقة الثالثـة من الفرس وذلك

بعد الطوفان بألفى سنة وستين سنة شمسية

وكان سبب خراب سد (مارب) ماصح به الخبر من الطوفان الصغير الذى طما به (سيل العرم) على سد (مارب) فخربه ، وأفسد عمائر مارب وكثيرا من البلاد

وكان سكان (مارب) الازد وما والاها ، فلما خربت تفرقوا فى البلاد ، فلحقت (الاوس) و (الخزرج) وهم الانصار (بيثرب) من أرض الحجاز وهى مدينة (النبي) صلى الله عليه وسلم ولحقت (خزاعة) بمكة وما حواليها من أرض تهامة ولحقت (وادعة) (ويَحمَد) و (خزام) و (جديل) و (مالك) و (الحرث) و (عتيك) بعمان وهم ازدعمان ولحقت (ماسخة) و (ميدعان) و (لهب) و (غامد) و (يشكر) و (بارق) وعلى بن عثمان و (شمران) و (الحجر) بن الهند و (دوس) (بالشراة) وهو جبل عظيم يقطع بلاد العرب طولا من تلقاء اليمن الى أطراف الشام ، ولحق (مالك) ابن عثمان بن أوس بالعراق ولحقت (جفنة) و (آل محرق) بن عمرو ابن عامر و (قضاعة) بالشام وفى خروج غير من ذكرنا من العرب من جزيرة العرب من (اياد) و (ربيعة) الى الشام وديار ربيعة من أرض الجزيرة أخبار ليس هذا موضع ذكرها ، وقد بينا

ما بلغنا منها فى كتاب جوامع أخبار الامم ، من العرب والعجم

فهذه كانت حال العرب فى الجاهلية ، فى دياناتها ، ومساكنها ومعايشها ، وأما حال « العرب » فى الاسلام فعلى ما نذكره هنا أوجز ما يمكننا وأخصره

كانت (العرب) حين بعث (النبي) صلى الله عليه وعلى آله وسلم قد تفرق ملكها ، وتشتت أمرها ، فضم الله شاردها، وسكن نافرها ، وجمع عليه جماعة ممن كان بجزيرة العرب من (قحطان) و (عدنان) فآمنوا به ، وانقادوا اليه ، ورفضوا جميعا ما كانوا يدينون به من عبادة الاوثان ، وتعظيم الكواكب ، وأقروا لله تعالى بالتعظيم والتحميد ، والربوبية والتوحيد ، والتزموا شريعة الاسلام من اعتقاد حدث العالم وخرابه ، والبعث ، والنشور ، والجزاء ومن العمل بالطاعات ، والصيام ، والصلاة ، والزكاة ، والحج والامر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، وغير ذلك من شريعة الاسلام

ثم لم يلبث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الا قليلا فتوفى وخلفه أصحابه (أبو بكر) ثم (عمر) ثم (عثمان) ثم (على) صلوات الله عليهم فملكوا البلاد ، وغلبوا الملوك ، واحتووا على الممالك ، وبلغت مملكة الاسلام فى أيام (عثمان) رضى الله عنه من الجلالة والسعة الى

حيث نبه عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوله (زويت لي أقاصي الارض فأريت مشارقها وسيبلغ ملك أمتي ما زوى لي منها) فأباد الله تعالى بدولة (الاسلام) دولة الفرس ، بالعراق وخراسان وغيرها من ديار الفرس ، ودولة الروم بالشام ، ودولة القبط بمصر ونواحيها وجعل الله تعالى بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ملك (العرب) في (عدنان) ثم في عمومة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبني قريش حكما من الله تعالى ماضياً ، وقضاء منه نافذا ، وتلك عادته في الامم وسنته في القرون ، كما قال عز وجل (وتلك الايام نداولها بين الناس)

وكانت (العرب) في صدر الاسلام لا تعنى بشيء من العلم الا بلغتها ، ومعرفة أحكام شريعتها ، حاشا صناعة الطب ، فانها كانت موجودة عند أفراد من (العرب) غير منكرة عند جماهيرهم لحاجة الناس طراً اليها ، ولما كان عندهم من الاثر عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحث عليها حيث يقول (ياعباد الله تداووا فان الله عز وجل لم يضع داء الا وضع له دواء الا واحداً وهو الهرم)

فكان من الاطباء على عهد النبي صلى الله عليه وسلم من العرب (الحرث بن كلدة الثقفي) كان تعلم الطب بفارس ، واليمن وكان يضرب العود ، وبقي الى أيام معاوية بن أبي سفيان وكان

منهم (ابن أبى رمثة التميمى) وهو الذى قال رأيت بين كتفى النبى صلى الله عليه وسلم (خاتم النبوة) فقلت له انى طبيب به دعنى أعالجه ، فقال أنت رفيق والطبيب الله ، وكان منهم (ابن الحبر) وهو (الكنانى) طبيب ماهر ، كان فى أيام (عمر بن عبد العزيز) وكان عمر يبعث اليه بمائه اذا مرض ، وكان منهم خالد بن يزيد بن معاوية ابن أبى سفيان ، كان بصيراً بالطب والكيمياء

وله فى الكيمياء رسائل ، وأشعار بارعة ، دالة على معرفته وبراعته فيها

فهذه كانت حالة العرب في الدولة الاموية فلما أدال الله تعالى تلك الدولة للهاشمية ، وصرف الملك اليهم ، ثابت الهمم عن غفلتها وهبت الفطن من سنتها ، فكان أول من عنى منهم بالعلوم (الخليفة) الثانى (أبو جعفر المنصور) عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم فكان رحمه الله تعالى مع براعته فى الفقه ، وتقدمه فى علم الفلسفة ، وخاصة في علم صناعة النجوم كلفا بها وبأهلها

ثم لما أفضت الخلافة الى الخليفة السابع منهم (عبد الله المأمون) بن هرون لرشيد بن محمد المهدى بن أبى جعفر المنصور تمم

مابدأ به جده (المنصور) فأقبل على طلب العلم فى مواضعه واستخرجه من معادنه ، بفضل همته الشريفة ، وقوة نفسه الفاضلة ، فداخل ملوك الروم وأتحفهم بالهدايا الخطيرة ، وسألهم صلته بما لديهم من كتب الفلاسفة ، فبعثوا اليه بما حضرهم من كتب (افلاطون) و (ارسطاطليس) و (ابقراط) و (جالينوس) و (أقليدس) و (بطليموس) وغيرهم من الفلاسفة ، فاستخار لها مهرة التراجمة وكلفهم إحكام ترجمتها ، فترجمت له على غاية ما أمكن ثم حض الناس على قراءتها ، ورغبهم في تعليمها ، فنفقت سوق العلم فى زمانه وقامت دولة الحكمة فى عصره ، وتنافس أولو النباهة فى العلوم لما كانوا يرون من احظائه لمنتحليها ، واختصاصه لمقلديها ، فكان يخلو بهم ، ويأنس بمناظرتهم ، ويلتذ بمذاكرتهم ، فينالون عنده المنازل الرفيعة ، والمراتب السنية ، وكذلك كانت سيرته مع سائر العلماء ، والفقهاء ، والمحدثين ، والمتكلمين ، وأهل اللغة ، والاخبار والمعرفة بالشعر ، والنسب ، فأتقن جماعة من ذوى الفنون والتعلم فى أيامه كثيرا من أجزاء الفلسفة ، وسنوا لمن بعدهم منهاج الطب ومهدوا أصول الادب ، حتى كادت الدولة العباسية تضاهى الدولة الرومية أيام اكتمالها ، وزمان اجتماع شملها ، ثم بدأت تنقص

ولتمام ثلاثمائة سنة خلت لتاريخ (الهجرة) اختل الملك، وتغلب عليه النساء، والاتراك، فلم يزل الناس يزهدون فى العلم، ويشتغلون عنه بتزاحم الفتن، الى أن كاد العلم يرتفع جملة فى زماننا هذا والحمد لله على كل حال

واذ قد ذكرنا هذه المقدمة من أخبار (العرب) فلنذكر الآن من عرف من الدولة العباسية من المسلمين عربياً كان أو أعجمياً بشئ من علوم الفلسفة فنقول ان أول علم اعتنى به من علوم الفلسفة علم المنطق، والنجوم، فأما المنطق فأول من اشتهر به فى هذه الدولة (عبدالله بن المقفع) الخطيب الفارسى كاتب (أبى جعفر المنصور) فانه ترجم كتب (ارسطاطاليس) المنطقية الثلاثة التى فى صورة المنطق وهى كتاب (قاطاغورياس) وكتاب «بارى ارمنياس» وكتاب «انولوطيقا» وذكر انه لم يترجم منه الى وقته الا الكتاب الاول فقط وترجم ذلك المدخل الى كتاب المنطق المعروف بالايساغوجى «لفرفوريوس الصورى» وعبرعما ترجم من ذلك بعبارة سهلة، قريبة المأخذ وترجم مع ذلك الكتاب الهندى المعروف «بكليلة ودمنة» وهو أول من ترجم من اللغة الفارسية الى اللغة العربية وله تآليف حسان منها رسالة «فى الآداب» و«السياسة»

ومنها رسالته المعروفة « باليتيمة » فى طاعة السلطان

وأما علم النجوم فأول من عنى به فى هـذه الدولة (محمـد بن ابراهيم الفزارى) وذلك ان الحسين بن محمـد بن حميـد المعروف (بابن الآدمى) ذكر فى تاريخه الكبير المعروف (بنظام العـقد) انه قدم على (الخليفة المنصور) فى سنة ست وخمسين ومائة رجل من الهند عالم بالحساب المعروف (بالسندهندى) في حركات النجوم مع تعاديل معلومة على (كردجات) محسوبة لنصف نصف درجة مع ضروب من أعمال الفلك ، ومع كسوفين ومطالع البروج وغير ذلك فى كتاب يحتوى على اثنى عشر بابا وذكر انه اختصره من (كردجات) منسوبة الى ملك من ملوك الهنـد يسمى (فبغر) وكانت محسوبة لدقيقة دقيقة فأمر (المنصور) بترجمة ذلك الكتاب الى اللغة العربية ، وأن يؤلف منه كتاب تتخذه (العرب) أصلا فى حركات الكواكب ، فتولى ذلك محمد بن ابراهيم (الفزارى) وعمـل منه كتابا يسميه المنجمون (بالسندهند) الكبير وتفسير السندهند باللغة الهندية (الدهر الداهر) فكان أهل ذلك الزمان يعملون به الى أيام الخليفة (المأمون) فاختصره له أبو جعفر بن موسى (الخوارزمى) وعمل منه (زيجه) المشهور ببلاد الاسلام ،

وعول فيه على أوساط (السند هند) وخالفه في التعاديل والميل
فجعل تعاديله على مذاهب (الفرس) وميل الشمس فيه على مذهب
(بطليموس) واخترع فيه من أنواع التقريب أبوابا حسنة لاتفى
بما احتوى عليه من الخطأ البين الدال على ضعفه فى الهندسة ،
وبعده عن التحقيق بعلم الهيئة فاستحسنه أهل ذلك الزمان من
أصحاب (السند هند) وطاروا به كل مطير ، وما زال ذلك نافعا
عند أهل العناية بالتعديل الى زماننا هذا

ولما أفضت الخلافة الى عبد الله (المأمون) بن هارون الرشيد
ابن محمد المهدى بن أبى جعفر المنصور وطمحت نفسه الفاضلة الى
ادراك الحكمة وسمت به همته الشريفة الى الاشراف على علوم
الفلسفة ، ووقف علماء وقته على كتاب (المجسطى) وفهموا صورة
آلات الرصد الموصوفة فيه ، بعثه شرفه ، وحداه نبله ، على أن
جمع علماء عصره من أقطار مملكته ، وأمرهم أن يصنعوا مثل
تلك الأدوات ، وأن يقيسوا بها الكواكب ، ويتعرفوا بها أحوالها
كما صنعه (بطليموس) ومن كان قبله ففعلوا ذلك ، وتولوا الرصد
بمدينة « الشماسية » من بلاد دمشق من أرض الشام سنة أربع
عشرة ومائتين ، فوقفوا على زمن سنة الشمس الرصدية ، ومقدار

ميلها وخروج مركزها ، ووضع أوجها ، وعرفوا مع ذلك بعض أحوال باقى الكواكب من السيارة ، والثابتة ، ثم قطع بهم عن استيفاء غرضهم موت الخليفة « المأمون » فى سنة ثمان عشرة ومائتين فقيدوا ما انتهوا اليه وسموه الرصد « المأمونى » والذى تولى ذلك « يحيى بن أبى منصور » كبير المنجمين فى عصره وخالد بن عبد الملك « المروزى » و « سند بن على » و « العباس بن سعيد الجوهرى » وألف كل واحد منهم فى ذلك زيجاً منسوبا اليه ، موجوداً فى أيدى الناس الى اليوم فكانت أرصادهم أول ارصاد كانت فى مملكة الاسلام

ولم يزل خواص من المسلمين وغيرهم من المتصلين بملوك بنى العباس وسواهم من ملوك الاسلام مذ ذلك الزمن الى وقتنا هذا يعتنون بصناعة النجوم ، والهندسة ، والطب ، وغير ذلك من العلوم القديمة ، ويؤلفون فيها الكتب الجليلة ، ويظهرون منها النتائج الغريبة ، فمن اشتهر منهم باحكام العلوم ، والتوسع فى فنون الحكمة يعقوب بن اسحاق « الكندى » فيلسوف « العرب » وأحد أبناء ملوكها ، وهو « أبو يوسف يعقوب بن اسحق بن الصباح بن عمران ابن اسمعيل بن محمد بن الاشعث بن قيس بن معدى كرب بن معاوية بن خالد بن على بن ربيعة بن معاوية الأكبر بن الحرث

الا كبر بن معاوية بن ثور بن مرفع بن كندة بن عمير بن عدى بن الحرث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشخب بن غريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشخب بن يعرب بن قحطان »

وكان أبوه «اسحاق بن الصباح» أميراً على الكوفة «للمهدى» و «الرشيد» وكان جده «الاشعث بن قيس» من أصحاب «النبي» صلى الله عليه وسلم وكان قبل ذلك ملكا على جميع «كندة» أيضا عظيم الشأن وهو الذى مدحه «الأعشى» أعشى بنى قيس بن ثعلبة بقصائده الاربع الطوال التى أولاهن «لعمرك ما طول هذا الزمان» والثانية «رحلت سمية غدوة أجمالها» والثالثة «أأزمعت من آل ليلى ابتكارا» والرابعة «أتهجر غانية أم تلمّ»

وكان أبوه «معدى كرب» بن معاوية ملكا على بنى الحرث الاصغر بن معاوية فى «حضرموت» وكان أبوه «معاوية» بن جبلة ملكا بحضرموت أيضاً على بني الحرث الاصغر، وكان معاوية ابن الحارث الاكبر وأبوه الحرث الاكبر وأبو ثور ملوكا على معدّ «بالمشقّر» و «اليمامة» و «البحرين» ولم يكن فى الاسلام من اشتهر عند الناس بعلوم الفلسفة حتى سموه فيلسوفا غير «يعقوب» وله فى أكثر العلوم تآليف مشهورة من المصنفات الطوال

والرسائل القصار ، مايزيد عـددها على خمسين تأليفاً فمن كتبه المشهورة كتاب التوحيـد المعروف « بفم الذهب » ذهب به الى مذهب «أفلاطون» من القول بحدوث العالم فى غير زمان،ونصر هذا المذهب بحجج غير صحيحة بعضها سوفسطائية وبعضها خطابية ومنها كتابه فى الرد على «المنانية» احدى فرق الضلالة القائلة بالاصلين القديمين ومنها رسالته فى ما بعـد الطبيعة فى الرد على « المنانية » ومنها كتابه في اثبات النبوة ومنها كتابه فى علوم « الموسيقى » المعروف « بالمؤنس » ومنها رسالتـه فى تسلية الاحزان ، ومنها كتاب آداب النفس ، ومنها كتبه فى المنطق، وهى كتب قد نفقت عنـد الناس نفاقا عاما وقلما ينتفع بها فى العلوم لانها خالية من صناعة التحليل التى لا سبيل الى معرفة الحق من الباطل فى كل مطلوب الا بها

وأما صناعة التركيب وهى التى قصد « يعقوب » فى كتبه هذه اليها فلا ينتفع بها الا من كانت عنده مقدمات ، فحينئذ يمكن التركيب ، ومقدمات كل مطلوب لا توجد الا بصناعة التحليل،ولا أدرى ما حمل « يعقوب » على الاضراب عن هذه الصناعة الجليلة هل جهل مقدارها ، أوضن على الناس بكشفه وأىُّ هذين كان فهو

نقص فيه ، وله بعد هـذا رسائل كثيرة في علوم ظهرت له فيها آراء فاسدة، ومذاهب بعيدة من الحقيقة، ومنهم ، أحمد بن الطيب «السرخسي» تلميذ، يعقوب بن اسحق «الكندى» أحد المتفننين فى علوم الفلسفة وله تآليف جليلة فى الموسيقى والمنطق وغير ذلك جسنة العبارة جيدة الاختصار

ومنهم محمد بن زكريا «الرازى» طبيب المسلمين غير مدافع فيه ، وأحد المهرة فى علوم المنطق ، والفلسفة ، وغيرها من علوم الفلسفة ، وكان فى ابتداء تعلمه يضرب العود ثم ترك ذلك ، واقبل على تعلم الفلسفة فنال منها كثيرا ، وألف نيفا على مائة تأليف أكثرها فى صناعة الطب ، وسائرها في ضروب من المعارف الطبيعية والالهية ، الا أنه لم يوغل فى العلم الالهى ولا علم غرضه الاقصي ، فاضطرب لذلك رأيه ، وتقلد آراء سخيفة ، وانتحل مذاهب سخيفة ، ودنا أقواماً لم يفهم عنهم ، ولا هـدى بسبلهم وأدار مارستان « الرى » ثم مارستان « بغداد» زمانا ثم عمى فى آخر عمره ، وتوفى قريباً من سنة عشرين وثلاثمائة والله سبحانه أعلم

ومنهم أبو نصر محمد بن محمـد بن نصر (الفارابى) فيلسوف المسلمين بالحقيقة أخذ صناعة المنطق عن (يوحنا) بن جيلانى

المتوفى بمدينة السلام فى أيام (المقتدر) فبذ جميع أهل الاسلام فيها ، وأربى عليهم فى التحقق بها ، فشرح غامضها ، وكشف سرها وقرب تناولها وجمع ما يحتاج اليه منها ، فى كتب صحيحة العبارة لطيفة الاشارة منبهة على ما أغفله (الكندى) وغيره من صناعة التحليل وانحاء التعليم وأوضح القول فيها عن مواد المنطق الخمس وأفاد وجوه الانتفاع بها وعرف طرق استعمالها وكيف تصرف صورة القياس فى كل مادة منها فجاءت كتبه فى ذلك الغاية الكافية والنهاية الفاضلة ، ثم له بعد هذا كتاب شريف فى احصاء العلوم والتعريف بأغراضها ، لم يسبق اليه ، ولا ذهب أحد مذهبه فيه ولا يستغنى طلاب العلوم كلها عن الاهتداء به ، وتقديم النظر فيه وله كتاب فى أغراض فلسفة (افلاطون) و (ارسطاطاليس) يشهد له بالبراعة فى صناعة الفلسفة ، والتحقق بفنون الحكمة ، وهو أكبر عون على تعلم طريق النظر ، وتعرف وجه الطلب ، إطلع فيه على أسرار العلوم وثمارها علما علما وبين كيفية التدرج من بعضها الى بعض شيئا شيئا ثم بدأ بفلسفة (افلاطون) فعرف بغرضه منها ، وسمى تآليفه فيها ، ثم اتبع ذلك بفلسفة (ارسطاطاليس) فقدم له مقدمة جليلة عرف فيها بتدرجه الى

فلسفته ، ثم بدأ بوصف أغراضه فى تآليفه المنطقية ، والطبيعية
كتابا كتابا حتى انتهى به القول فى النسخة الواصلة الينا الى أول
العلم الالهى ، والاستدلال بالعلم الطبيعى عليه ، فلا أعلم كتابا أجدى
على طالب الفلسفة منه ، فانه يعرف بالمعانى المشتركة لجميع العلوم
والمعانى المختصة بعلم علم منها ولا سبيل الى فهم معانى (قاطاغورياس)
وكيف هى الاوائل الموضوعة لجميع العلوم الا منه ، ثم له بعد هذا
فى العلم الالهى وفى العلم المدنى كتابان لا نظير لهما ، أحدهما المعروف
بالسياسة (المدنية) والآخر المعروف بالسيرة (الفاضلة) عرف
فيهما بجمل عظيمة من العلم الالهى على مذهب (ارسطاطاليس)
فى مبادئ السنة الروحانية ، وكيف تؤخذ عنها الجواهر الجسمانية
على ما هى عليه من النظام واتصال الحكمة ، وعرف فيهما بمراتب
الانسان وقواه النفسانية ، وفرق بين الوحى والفلسفة ، ووصف
أصناف المدن الفاضلة ، وغير الفاضلة ، واحتياج المدينة الى السير
الملوكية والنواميس النبوية

وكان (أبو نصر الفارابى) معاصرا لابى بشر (متى) بن يونس
فى علم المنطق وعليه معول العلماء ببغداد وغيرها من أمصار المسلمين
بالشرق ، لقرب مأخذها ، وكثرة شرحها ، وكانت وفاة أبى نصر

الفارابى (بدمشق) فى كنف الامير سيف الدولة على بن عبد الله (ابن حمدان) التغلبي سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة

فهؤلاء هم المشاهير عندنا من أهل التوسع فى فنون المعارف

وأما المشهورون بأحكام بعض أجزاء الفلسفة ، فكثير فمن اشتهر منهم عندنا بعلم حركات النجوم ، وهيئة العالم ، سوى من تقدم ذكره احمد بن عبد الله البغدادى المعروف (بحبش) وكان فى زمان (المأمون) و (المعتصم) وله ثلاثة أزياج ، أولها المؤلف على مذهب (السندهند) خالف فيه (الفزارى) و (الخوارزمى) في عامة الاعمال ، واستعماله لحركة إقبال البروج وإدباره على رأى (ثاؤن) الاسكندرانى ، واتضح له بها مواضع الكواكب فى الطول

وكان تأليفه لهذا الزيج أول مرة فى أيام كان حساب (السند هند) والثانى المعروف (بالممتحن) وهو أشهر ماله ، ألفه بعد أن رجع الى معاناة الرصد وضمنه حركات الكواكب على مايوجبه الامتحان فى زمانه ، والثالث الزيج الصغير المعروف (بالشاه) وله كتاب حسن فى العمل (بالاسطرلاب) ومنهم أحمد بن محمد ابن كثير (الفرغانى) أحد منجمى (المأمون) وصاحب المدخل الى علم هيئة الافلاك ، وحركات النجوم ، وهو كتاب لطيف

الجرم ، عظيم الفائدة ، تضمن ثلاثين بابا احتوت على جوامع كتاب (المجسطى) بأعذب لفظ ، وأبين عبارة

ومنهم (موسى بن شا كر) وبنوه (محمد واحمد والحسين) كانوا جميعا من المتقدمين فى علم الفلسفة ، وهيئة الافلاك وحركات النجوم ، ولهم عناية بارصاد الكواكب ، وإقبال بقياساتها ، وكان (موسى بن شا كر) منهم مشهوراً فى منجمى (المأمون) وكان بنوه أبصر الناس بالهندسة ، وعلم الحيل ، ولهم فى ذلك تآليف عجيبة تعرف (بحيل بنى موسى) وهو مشهور عند الناس

ومنهم عمر بن (الفرُّخان) الطبرى أحد رؤساء التراجمة والمتحققين بعلم حركات النجوم وأحكامها ، وذكر (أبومعشر) جعفر بن محمد البلخى فى كتابه المذاكرات (لشاذبن بحر) أنّ ذا الرئاستين الفضل بن سهل وزير المأمون استدعاه من بلده ، ووصله بالمأمون فترجم كتبا كثيرة وحكم بأحكام موجودة الى اليوم في خزائن السلطان وألف له كتبا كثيرة في النجوم وغيرها من فنون الفلسفة والله تعالى أعلم

ومنهم أبو جعفر محمد (جعفر بن سنان) الحراني المعروف (بالبتّانى) أحد المهرة برصد الكواكب ، والمتقدمين فى علم الفلسفة

وهيئة الافلاك ، وحساب النجوم ، وصناعة الاحكام ، وله زيج جليل ضمنه ارصادا (للنيرين) واصلاحا لحركاتهما ، المثبتة فى كتاب (بطليموس) المعروف بكتاب (المجسطى) وذكر فيه حركات الخمسة المتحيرة على حسب ماأمكنه من اصلاحها ، وسائر مايحتاج اليه من حساب الفلك ، وكان بعض ارصاده التى سماها فى زيجه فى سنة (تسع وستين ومائتين) من الهجرة وذلك فى السنة الثامنة من خلافة (المعتصم) ولا أعلم أحداً فى الاسلام بلغ مبلغه فى تصحيح ارصاد الكواكب ، وامتحان حركاتها ، وله بعد ذلك عناية بأحكام النجوم ، أدته الى التأليف في ذلك فمن تآليفه فيها كتاب فى شرح المقالات الاربع (لبطليموس)

ومنهم الفضل بن حاتم (التبريزى) وكان متقدماً فى علم الهندسة وهيئة الافلاك ، وحركات النجوم وله تآليف مشهورة منها كتابه الذى شرح فيه كتاب (اقليدس) وزيج كبير على مذهب (السند هند)

ومنهم (الحسن بن مصباح) له زيج أثبت فيه أوساط الكواكب على مذهب مايؤدى اليه الرصد فى زمانه

ومنهم محمد بن اسماعيل (التنوخى) المنجم الذى دخل الى

الهند وصدر عنها بغرائب من علم النجوم، منها حركات الاقبال و الادبار

ومنهم (علي بن ماجود) أحد العلماء بحركات الكواكب، والمعانين لارصادها

ومنهم (أبو معشر) جعفر بن محمد بن عمر البلخي عالم أهل الاسلام بأحكام النجوم، وصاحب التآليف الشريفة والمصنفات المفيدة، في صناعة الاحكام، وعلم التعديل، وكان مع ذلك أعلم الناس بسير الفرس وأخبار سائر العجم، فمن كتبه في صناعة الاحكام كتاب (الطبائع) وكتاب (الألوف) وكتاب (المدخل) الكبير وكتاب (القرانات) وكتاب (الدول والملل) وكتاب (الملاحم) وكتاب (الاقاليم) وكتاب (الفيلاج) و (الكدجدا) وكتاب (الثالالات) في المواليد وكتاب (النكت) وكتاب (تحاويل سني المواليد) وغير ذلك ومن كتبه في حركات النجوم (زيجه الكبير) وهو كثير الفائدة، جامع لاكثر علم الفلك بالقول المطلق المجرد من البرهان، وكتاب (الزيج الصغير) المعروف (بزيج القرانات) تضمن معرفة أوساط الكواكب لأوقات اقتران (زحل) و (المشتري) مذ عهد الطوفان

وكان (أبو معشر) مدمنا على شرب الخمر مشتهرا بمعاقرتها

وكان يعتريه صرع عند الامتلاآت القمرية ، وكان معاصرا (لابى جعفر بن سنان (البتّانى)

ومنهم (الحسين بن الخصيب) أحد المتقدمين فى علم الاحكام وفى علم التعديل ، وله زيج مشهور وكتاب حسن فى المواليد

ومنهم أحمد بن يوسف صاحب الكتاب المؤلف فى (النسبة والتناسب) وصاحب شرح (الثمرة) لبطليموس

ومنهم (أحمد بن المثنى) بن عبد الكريم صاحب (تعليل زيج الخوارزمى)

ومنهم محمد بن محمد بن خالد بن عبد الملك (المروزُّوذى) له زيج مختصر على المذهب الممتحن الذى ظهر على يدى جده (خالد بن عبد الملك) المروزُّوذى و (يحيي بن أبى منصور) و (سيد بن على) و(العباس بن سعيد الجوهرى) المتقدم ذكرهم

ومنهم الحسين بن حميد المعروف (بابن الآ دمى) صاحب الزيج الكبير الذى كمله بعد وفاته تلميذه القاسم بن محمد بن هشام المدائنى المعروف (بالعلوى) وسماه كتاب (تعليل العقد) وشهره فى سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة ، وهو كتاب جامع لصناعة التعديل، مشتمل على أصول هئية الافلاك ، وحساب حركات النجوم ، على مذهب

(السندهند) وذكر فيه من حركة إقبال الفلك وإدباره مالم يذكره أحد قبله ، وكنا نسمع قبل وصول هذا الكتاب الينا من هـذه الحركة مالا يعقل ، ولا يضم الى قانون ، حتى وقع هذا الكتاب الينا وفهمنا صورة هـذه الحركة ، وكان ذلك سبباً الى التمرن بها زمانا حتى ظهر الينا منها مالا نظن ظهر الى غـيرنا ، وتعقبنا فيها أشياء قد بينتها فى كتابي المؤلف (في اصلاح حركات النجوم)

ومنهم أبو محمد الهمدانى المعروف بابن (ذى الدُّمينة) أحد أشراف العرب وهو الحسين بن أحمـد بن يعقوب بن يوسف بن داود بن سليمان المعروف بابن الدمينة بن عمروالحرث بن منقذبن الوليد بن الأزهر بن عمر بن طارق بن أهتم بن قيس بن أبى ربيعة ابن عهد بن عليان بن مرة وهو أرحب بن الدعام بن مالك بن معاوية بن صعب بن دومان بن بكيل بن جشم بن حاشد بن نوف بن همدان بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد ابن كهلان بن سبا بن (يشخب) بن يعرب بن قحطان استخرجت نسبته من كتابه المعروف (بالا كليل) المؤلف فى أنساب (حمير) وأيام ملوكها وهو كتاب عظيم الفائدة ، يشتمل على عشرة فنون الاول منها فى أخبار المبدأ وأصول انساب العرب والعجم وأنساب

ولد حمير ، والفن الثانى فى نسب ولد الهميسع بن حمير ، والفن الثالث فى فضائل قحطان ، والفن الرابع فى السيرة القديمة من عهد يعرب بن قحطان الى عهد أبى كرب أسعد الكامل وهو الاوسط والفن الخامس فى السيرة الوسطى من أسعد أبى كرب الى عهد ذى نؤاس ، والفن السادس فى السيرة الاخيرة وذلك فى عهد ذى نؤاس الى عهد الاسلام ، والفن السابع في التنبيه على الأخبار الباطلة والحكايات المستحيلة ، والفن الثامن من ذكر قصور حمير وحكامها وحروبها ودفائنها وأشعارها ، والفن التاسع فى أمثال حمير وحروفها وحكمها ، والفن العاشر فى معارف همدان ، وفى أثناء هذا الكتاب جمل حسان من حساب القرانات وأوقاتها ، ونبذ من علم الطبيعة وأحكام النجوم ، وأراء الاوائل في قدم العالم وجدته واختلافهم فى أدواره ، وفى تناسل الناس ، ومقادر أعمارهم وغير ذلك

وله بعد هذا تواليف حسان منها كتاب (سرائر الحكمة) وغرضه التعريف بجمل علم الهيئة ومقادير حركات الكواكب وتبيين علم أحكام النجوم واستيفاء ضروبه واستيعاب أقسامه ومنها كتاب (القوى) وكتاب (اليعسوب) فى الرمى والقسى والسهام والنصال ووجدت بخط أمير الاندلس الحكم (المستنصر)

بالله ابن عبد الرحمن الناصر لدين الله بن محمد بن عبد الله الأمير ابن عبد الرحمن الامير ابن الحكم الامير (ابن هشام) أمير المؤمنين ابن عبد الملك أمير المؤمنين ابن مروان الحكم القرشى الاموى ان أبامحمد (الهمدانى) توفى بسجن صنعاء فى سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة

ومنهم أبو الحسن على بن عبدالرحمن بن يونس المصرى، كان مختصا بعلم النجوم، متصرفا فى سائر العلوم، بارع الشعر، وعلى اصلاحه لزيج يحيي بن أبى منصور تعويل أهل مصر في تقويم الكواكب اليوم

ومنهم (ابن الهيثم) المصرى صاحب التآليف فى المرآى المحرقة أخبرنى القاضى أبو زيد عبد الرحمن بن عيسى بن محمد بن عبد الرحمن انه لقيه بمصر سنة ثلاثين وأربعمائة

فهؤلاء مشاهير المعتنين بعلم النجوم التعليمى البرهانى، وأما علم النجوم الطبيعى، وهو معرفة أحكام الكواكب، وتأثيرها في عالم الكون، والفساد، فان أول من اشتهر به فى مملكة الاسلام محمد بن ابراهيم (الفزارى) المذكور وكان يذهب فيه الى مذاهب العرب ثم تلاه فى هذه الطريقة محمد (بن الجهم) البرمكى، وكان مع ذلك معتنيا بالمنطق و (ابن مسافر) اليمانى و (خالد الاموى)

و(يحيي) بن أبي منصور ، فكان هؤلاء يجرون مجرى متقاربا فى التمذهب بمذاهب العرب في أحكام النجوم

وأما المتحققون بهذه الصناعة والسالكون فيها مسالك العجم من الفرس،واليونانيين ، وغيرهم ، فمن اشتهر منهم(يعقوب) ابن طارق صاحب كتاب (المقالات) في مواليد الخلفاء والملوك وسعود من لم تعرف مولده

ومنهم (ماشاءالله) الهندى صاحب التواليف الفخيمة و(أبو سهل) بن نوبخت الفارسى وكان فى زمان (الرشيد) وابنه الفضل و (أبو على) الخياط و (اسحق) ابن سليمان الهاشمى صاحب الكتاب المعروف (بأبى قماش) المؤلف على تحاويل سنى العالم وعمر بن (الفرخان) الطبرى و (أبو معشر) جعفر بن محمد بن عمر البلخى و (أبو الهمدان) وجماعة سواهم

وممن اشتهر بعلم الطب وسائر العلوم المستنبطة من العلم الطبيعى اسحق بن عمران المعروف (بسمّ ساعة) كان بغدادى الأصل ثم سكن افريقية فى دولة (زيادة الله) بن الاغلب ، وهو استجلبه من بغداد وكان مقدماً فى جودة القريحة ، وصحة العلم ، وهو الذى ألف (بين) الطب والفلسفة بديار المغرب ، وله كتب جليلة منها

كتاب (نزهة النفس) وكتاب (النبض) وكتاب (المالنخوليا) وكتاب (الفصد) وغيرها ، وجرت له مع (زيادة الله) بن الاغلب أموز أصقته عليه ، لفرط جوره وسخف رأيه ، فأمر بفصد ذراعيه فسال دمه الى أن مات ، ثم أمر به فصلب ، ومكث مصلوبا زمانا طويلا حتى عشعش فى جوفه طائر والله أعلم

ومنهم جابر بن حيان الصوفى وكان متقدماً في العلوم الطبيعية بارعا منها فى صناعة الكيمياء ، وله فيها تآليف كثيرة ومصنفات مشهورة ، وكان مع هذا مشرفا على كثير من علوم الفلسفة ، ومتقلداً للعلم المعروف بعلم الباطن ، وهو مذهب المتصوفين من أهل الاسلام كالحرث بن أسد (المحاسبي) وسهل بن عبد الله (التسترى) ونظرائهما

وأخبرنى محمد بن السعيد السرقسطى المعروف (بابن المشاط) الاسطرلابى انه رأى لجابر بن حيان بمدينة مصر تأليفا فى العمل بالاسطرلاب تضمن ألف مسألة لا نظير له

ومنهم ذو النون ابراهيم (الاخميمى) من طبقة جابر بن حيان فى انتحال صناعة الكيمياء ، وتقلد علم الباطن ، والاشراف على كثير من علوم الفلسفة

ومنهم (علي بن رين) صاحب الكناش المعروف بفردوس الحكمة وهو معلم محمد بن زكريا (الرازى)

ومنهم احمد بن ابراهيم بن أبي خالد القيروانى المعروف (بابن الجزار) كان حافظا للطب، دارسا للكتب، جامعاً لتواليف الاوائل حسن الفهم لها، وله مصنفات حسنة فى الطب وغيره فمن أشهرها (كناشه) وعلم الامراض المعروف «بزاد المسافر» وكتابه فى الادوية المفردة المعروف بالاعتماد، وكتابه فى الادوية المركبة المعروف بالبغية، ورسائله فى النفس، وفي ذكر اختلاف الاوائل فيها وكان له أيضا عناية بالتاريخ أدته الى أن يؤلف فيه مختصراً حسناً سماه كتاب (التعريف فى صحيح التاريخ) وكان مع هذا جميل المذهب، فاضل السيرة صائنا لنفسه، منقبضاً عن الملوك. ذا وفر وثروة

ومنهم على ابن العباس المعروف (بابن المجوسى) صاحب كتاب (كامل الصناعة) الطبية المعروف بالملكى ألفه للملك (عضد الدولة) ابن فناخسرو بن ركن الدولة أبى على حسن بن بويه الديلمى وهو كناش جليل مشتمل على علوم الطب وأعماله ولا أعلم كناشا مثله

فهؤلاء مشاهير علماء الاسلام عندنا من أهل العراق والشام ومصر

العلوم في الاندلس

وأما الأندلس فكان فيها أيضا بعد تغلب بنى أمية عليها جماعة عنيت بطلب الفلسفة ونالت أجزاء كثيرة منها وكانت الاندلس قبل ذلك فى الزمان القديم خالية من العلم لم يشتهر عند أهلها أحد بالاعتناء به الا أنه يوجد فيها طلسمات قديمة فى مواضع مختلفة وقع الاجماع على أنها من عمل ملوك رومية إذ كانت الاندلس منتظمة بملكتهم ولم تزل على ذلك عاطلة من الحكمة الى أن أفتتحها المسلمون فى شهر رمضان سنة اثنين وتسعين من الهجرة فتمادت على ذلك أيضاً لايعني أهلها بشيء من العلوم الا بعلوم الشريعة وعلم اللغة الى أن توطد الملك لبنى أمية بعد عهد أهلها بالفتنة فتحرك ذووا الهمم منهم لطلب العلوم وتنبهوا لاشارة الحقائق على حسب ماياتى ذكره بعد ان شاء الله تعالى

وأما دين أهل الاندلس فدين الروم من الصابئة أولا ثم النصرانية الى أن أفتتحها المسلمون فى التاريخ الذى ذكرنا وأما ملكهم فكان لطوائف من الامم مختلفة تداولوها أمة بعد أمة

فمن تلك الامم الروم وكان عمالهم ينزلون مدينة طائف العتيقة المجاورة لأشبيلية واتصل ملكهم بها زمانا طويلا الى أن غلبتهم عليها (القوط) فانتسخ الملك الرومى منها واتخذ القوط مدينة طليطلة من مدائنها العتيقة قاعدة للملكهم وملكوا الاندلس أفخم ملك قريبا من ثلاثمائة سنة الى أن غلبهم المسلمون عليها فى التاريخ الذى قدمنا ذكره واتخذ ملوكهم قرطبة وطناً ولم تزل مركزا للملك المسلمين بها الى زمان الفتنة وانتشار الأمر على بنى أمية فافترق عند ذلك شمل الملك بالاندلس وصار الى عدة من الرؤساء حالهم كحال الطوائف من الفرس

وأما حدود الاندلس فان حدها الجنوبى منها الخليج الرومى الخارج مما يقابل (طنجة) فى موضع يعرف بالزقاق سعته اثناعشر ميلا ثم ينتهى الى مدينة (صور) من مدائن الشام وحدّاها الشمالى والغربى الاعظم المسمى (اقيانس) المعروف عندنا ببحر الظلمة وحدها الشرقى الجبل الذى فيه (هيكل الزهرة) الواصل مابين البحرين بحر الروم والبحر الاعظم ومسافة مابين البحرين فى هذا الجبل ثلاثة مراحل وهو الحد الاصغر من حدود الاندلس وحداها الاكبران الجنوبى والشمالى ومسافة كل واحد منهما نحو ثلاثين

مرحلة ومسافة حدها الغربى نحو من عشرين مرحلة ووسط الاندلس مدينة طليطلة العتيقة التى كانت قاعدة (القوط) وعرضها ٣٩ درجة و٥٠ دقيقة وطولها ٢٨ درجة بالتقريب فصارت بذلك فى التقريب من وسط الاقليم الخامس وهى فى وقتنا هذا الذى هو سنة ستين واربعمائة قاعدة الامير أبى الحسن يحيي ابن اسماعيل ابن عامر بن مطرف بن موسى بن ذى النون عظيم ملوك الاندلس وأقل بلاد الاندلس عرضا المدينة المعروفة بالجزيرة الخضراء على البحر الجنوبى منها وعرضها ٣٦ درجة وأكثر مدنها عرضا بعض المدائن التى على ساحلها الشمال وعرض ذلك الموضع ٤٣ درجة فمعظم الاندلس فى الاقليم الخامس وطائفة منها فى الاقليم الرابع كأشبيلية ومالقة وقرطبة وغرناطة والمرية ومرسية

وهذا الجبل الذى ذكرنا فيه (هيكل الزهرة) الذى هو الحد الشرقى من الاندلس هو الحاجز ما بين الاندلس وبين بلاد افرانسة من الارض الكبيرة التى هى بلاد افرنجة العظمي والاندلس آخر المعمور فى المغرب لأنها كما ذكرنا منتهية الى بحر (الاوقيانس) الاعظم الذى لاعمارة وراءه ومسافة ما بين طليطلة وسط الاندلس وبين مدينة رومية قاعدة الارض الكبيرة نحو من أربعين مرحلة

فهذه جملة من خبر الاندلس

ولنعد الآن الى ذكر علمائها الذين هم غرضنا من ذكرها فنقول انه لما كان فى وسط المائة الثالثة فى تاريخ الهجرة وذلك فى أيام الامير الخامس من ملوك بنى أمية وهو محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن (الداخل بالاندلس) تحرك أفراد من الناس الى طلب العلوم ولم يزالوا يظهرون ظهورا غير شائع الى قريب وسط المائة الرابعة

فمن اشتهر من العلماء مابين وسطى هاتين المائتين فاعتنى بعلم الحساب والنجوم أبو عبيدة مسلم بن احمد بن أبى عبيدة البلنسى المعروف (بصاحب القبلة) وانما عرف بذلك لانه كان يسرف كثيرا فى صلاته وكان عالما بحركات الكواكب وأحكامها وكان مع ذلك صاحب فقه وحديث ودخل الى المشرق فسمع بمكة من على بن عبد العزيز وبمصر من المزنى والربيع بن سليمان المرادى ويونس بن عبد الاعلى ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم وجماعة سواهم ففيه يقول احمد بن محمد (بن عبد ربه)

أبا عبيدة والمسئول عن خبر ‏ يحكيه الاسوار الذى سألا

أبيت الا شذوذاً عن جماعتنا ‏ ولم يصب رأى من أرجى ولا اعتزلا

كذلك القبلة الاولى مبدلة وقد أبيت فما تبغى بها بدلا

زعمت بهرام أو (بيذخت) يرزقنا لا بل عطاداً وبرجيس أو زحلا

وقلت ان جميع الخلق في فلك بهم محيط وفيهم يقسم الاجلا

والارض كوابة حف السماء بها فوقا وتحتاً وصارت نقطة مثلا

صيف الجنوب شتاء للشمال بها قد صار بينهما هذا وذا دولا

فان كانون في صنعا وقرطبة برداً وأيلول يذكى فيهما الشعلا

هذا الدليل ولا قولا غررت به من القوانين يجلى القول والعملا

كما استمر ابن موسى فى غوايته فوعر السهل حتى خلته جبلا

ابلغ معاوية المصغى لقولهما انى كفرت بما قالا وما فعلا

ابن موسى هو قاسم بن موسى المعروف (بابن الافشين) الكاتب ومعاويه أحد القرشيين النسابين وتوفى أبو عبيدة هذا في سنة خمس وتسعين ومائتين

ومنهم يحيي بن يحيي المعروف بابن التيمية من أهل قرطبة كان بصيرا بحساب النجوم والطب وغير ذلك متصرفا في العلوم متفننا فى ضروب المعارف بارعا فى علوم النحو واللغة والعروض ومعانى الشعر والفقه والحديث والاخبار والجدل وكان معتزلى المذهب ورحل الى المشرق ثم انصرف وتوفى سنة خمس عشرة وثلثمائة

ومنهم محمد بن اسماعيل المعروف (بالحكيم) كان عالما بالحساب والمنطق دقيق الذهن لطيف الخاطر وكان مع ذلك نحويا لغويا وتوفى سنة احدى وثلاثين وثلثمائة

ثم لما مضي صدر من المائة الرابعة انتدب الامير الحكم (المستنصر بالله) بن عبدالرحمن الناصر لدين الله وذلك فى أيام أبيه الى العناية بالعلوم والى ايثار أهلها واستجلب من بغداد ومصر وغيرهما من ديار المشرق عيون التواليف الجليلة والمصنفات الغريبة فى العلوم القديمة والحديثة وجمع منها فى بقية أيام أبيه ثم فى مدة ملكه من بعده ما كاد يضاهى ماجمعته ملوك بنى العباس فى الازمان الطويلة وتهيأ له ذلك لفرط محبته للعلم وبعد همته فى اكتساب الفضائل وسمو نفسه الى التشبه بأهل الحكمة من الملوك فكثر تحرك الناس فى زمانه الى قراءة كتب الاوائل وتعلم مذاهبهم ثم توفى فى صفر من سنة ست وستين وثلثمائة وولى بعده ابنه(هشام) المؤيد بالله وهو يومئذ غلام لا يحتلم بعد فتغلب على تدبير ملكه بالاندلس حاجبه أبو عامر محمد بن عبد الله ابن محمد بن عبدالله بن أبى عامر بن محمد بن الوليد بن عبد الملك ابن عامر المعافرى القحطانى وعمد أول تغلبه عليه الى خزائن أبيه (الحكم) الجامعة

للكتب المذكورة وغيرها وابرز ما فيها من ضروب التآليف بمحضر خواص من أهل العلم بالدين وأمرهم باخراج ما فى جملتها من كتب العلوم القديمة المؤلفة فى علوم المنطق وعلوم النجوم وغير ذلك من علوم الاوائل حاشا كتب الطب والحساب فلما تميزت من سائر الكتب المؤلفة فى اللغة والنحو والاشعار والاخبار والطب والفقه والحديث وغير ذلك من العلوم المباحة عند أهل الاندلس الاما أفلت منها فى أثناء الكتب وذلك أقلها أمر باحراقها وافسادها فأحرق بعضها وطرح بعضها فى آبار القصر وهيل عليها التراب والحجارة وغيرت بضروب من التغايير وفعل ذلك تحبباً الى عوام الاندلس وتقبيحاً لمذهب الخليفة الحكم عندهم اذ كانت تلك العلوم مهجورة عند أسلافهم مذمومة بألسنة رؤسائهم وكان كل من قرأها متهماً عندهم بالخروج من الملة ومظنوناً به الالحاد في الشريعة فسكن أكثر من كان تحرك للحكمة عند ذلك وخملت نفوسهم وتستروا بما كان عندهم من تلك العلوم ولم يزل أولو النباهة من ذلك الوقت يكتمون ما يعرفونه منها ويظهرون ما تجوز لهم فيه من الحساب والفرائض والطب وما أشبه ذلك الى أن انقرضت دولة بنى أمية من الاندلس وافترق الملك من المسربين عليهم فى

صدر المائة الخامسة من الهجرة وصاروا طوائف واقتعد كل ملك قاعدة من أمهات البلاد فاشتغل بهم ملوك الحاضرة العظمى قرطبة عن امتحان الناس والتعقب عليهم واضطرتهم الفتنة الى بيع ما كان بقصر (قرطبة) من ذخائر ملوك الجماعة من الكتب وسائر المتاع فبيع ذلك بأوكس ثمن وأتفه قيمة وانتشرت تلك الكتب بأقطار الاندلس ووجد فى خلالها أعلاق من العلوم القديمة كانت أفلتت من أيدى الممتحنين بحركة الحكم أيام المنصور بن أبى عامر وأظهر أيضاً كل من كان عنده من الرعية شئ منها ما كان لديه منها فلم تزل الرغبة ترتفع من حين فى طلب العلم القديم شيئا فشيئا وقواعد الطوائف تتمصر قليلا قليلا الى وقتنا هذا فالحال بحمد الله أفضل ما كانت بالاندلس فى اباحة تلك العلوم والاعراض عن تحجير طلبها الى أن زهد الملوك فى هذه العلوم وغيرها

لكن اشتغال الخواطر بما دهم الثغور من تغلب المشركين عاماً فعاماً أطرافها وضعف أهلها عن مدافعتهم عنها قلل طلاب العلم وصيرهم افراداً بالاندلس ممن كان عنده علم بشئ من العلوم الرياضية متداولا غاية الحكم بذلك فى أيام أبيه (الناصر لدين الله) الى وقتنا هذا

أبو غالب حباب بن عبادة الفرائضى كان مشهوراً بعلم العدد في وسط ملك عبد الرحمن الناصر لدين الله وله فى الفرائض تأليف حسن مشهور عندنا الى اليوم

أبو أيوب عبد الغافر بن محمد أحد المهرة بعلم الهندسة وله تأليف حسن فى الفرائض وكان له سماع من أحمد بن خالد الفقيه وطبقته وروى عنه مسلمة بن أحمد المرحيط ونظراؤه

وعبدالله ابن محمد المعروف بالسرى كان عالما بالعدد والهندسة وله كتاب مشهور فى المبيع وكان مع ذلك رجلا ناسكا فقيها اماماً فى النحو واللغة وكان ينسب اليه العلم بصناعة الكيميا ، وكان الحكم المستنصر بالله يعظمه ويؤثره ويروم الاستكثار منه فيقبضه عنه ورعه ويكفه عن مداخلته زهده

وأبو بكر بن أبي عيسى واسمه أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عمر بن أحمد بن محمد بن عبد الاعلى بن عبد الغافر بن عبد المجيد بن عبد الله بن أبي عيسى عبد الرحمن بن الحرث الانصارى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مقدماً فى العدد والهندسة والنجوم فكان يجلس لتعليم ذلك في أيام الحكم أخبرني أبو عثمان سعيد بن محمد بن البغونش الطليطلى انه كان

يسمع معلمه مسلمة بن محمد المرحيط عند ذكر بن أبي عيسى هذا وكان معلمه تخرج عليه فى صناعة الهندسة ويقر له بالسبق فيها وفى سائر العلوم الرياضية

وعبد الرحمن بن اسماعيل بن زيد المعروف بالاقليدى كان متقدماً فى علم الهندسة معتنيا بصناعة المنطق وله تأليف مشهور فى اختصار الكتب الثمانية المنطقية أخبرنى عنه ابن أخته أبو العباس أحمد بن أبى حاتم محمد بن عبد الله (بن) عبد (بن) هرثمة بن ذكوان انه رحل الى المشرق فى أيام الحاجب المنصور بن أبى عامر وتوفى هناك أبوه اسماعيل ابن زيد أحد وجوه قرطبة المتقدمين فى الشعر والعربية وولى أحكام السوق بها فى أيام الخليفة الحكم رحمه الله

وأبو القاسم أحمد ابن محمد بن أحمد العدوى المعروف بالطنبرى كان معلما بعلم العدد والهندسة نافذا فيهما ، وله كتاب حسن فى المعاملات

وأبو عثمان سعيد بن فتحون بن مكرم المعروف بالحمار السرقسطى كان متحققا اماماً فى علم النحو واللغة وله تأليف فى الموسيقى ورسالة حسنة في المدخل الى علوم الفلسفة سماها شجرة

الحكمة ورسالة فى تعديل العلوم وكيف درجت الى الوجود من انقسام الجوهر والعرض ونالته في أيام المنصور محمد بن أبي عامر محنة شديدة مشهورة السبب أدته بعد انطلاقه من السجن الى الخروج عن الاندلس فتوفى فى جزيرة صقلية

وأبو القسم مسلمة بن أحمد المعروف بالمرحيط كان أمام الرياضيين في الاندلس في وقته واعلم ممن كان قبله بعلم الافلاك وكانت له عناية بارصاد الكواكب وشغف بفهم كتاب بطليموس المعروف بالمجسطى ، وله كتاب حسن فى تمام علم العدد وهو المعنى المعروف عندنا بالمعاملات وكتاب اختصر فيه تعديل الكواكب من زيج البتاني وعنى بزيج محمد بن موسى الخوارزمى وصرف تاريخه الفارسى الى التاريخ العربي ووضع أوساط الكواكب فيه لاول تاريخ الهجرة وزاد فيه جداول حسنة على أنه اتبعه الى خطئه فيه ولم ينتبه على مواضع الغلط منه وقد نبهت على ذلك في كتابى المؤلف فى اصلاح حركات الكواكب والتعريف بخطأ الراصدين وتوفى أبو القاسم مسلمة بن أحمد قبيل منبعث الفتنة فى سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة وقد أنجب تلاميذ جلة ولم ينجب عالم بالاندلس مثلهم فمن أشهرهم (ابن السمح) فهو أبو القاسم أصبغ بن محمد بن السمح

المهدى كان متحققا بعلم العدد والهندسة متقدماً فى علم هيئة الافلاك وحركات النجوم وكانت له مع ذلك عناية بالطب وله تواليف حسنة منها كتاب المدخل الى الهندسة فى تفسير كتاب (اقليدس) ومنها كتاب ثمار العدد المعروف (بالمعاملات) ، ومنها كتاب طبيعة العدد ومنها كتابه الكبير فى الهندسة نقص فيه أجزاء من الخط المستقيم والمقوس والمنحني ، ومنهـا كتاباه فى الآلة المسماة بالاسطرلاب ، أحدهما فى التعريف بصورة صنعتها وهو مرتب على مقالتين ، والآخر فى العمل بها والتعريف بجوامع ثمارها وهو مقسم على مائة وثلاثين بابا ، ومنها زيجه الذى ألفه على أحد مذاهب الهند المعروف (بالسندهند) وهو كتاب كبير مقسم على جزئين أحدهما فى الجداول والآخر فى رسائل الجـداول وأخبرنى عنـه تلميذه أبو مروان سليمان بن محمـد بن عيسى الناسي المهندس انه توفى بمدينة غرناطة قاعدة الامير حيوس بن ماكس بن زيرى بن مناد الصنهاجي ليلة الثلاثا لاثنتى عشرة ليلة بقيت لرجب ست وعشرين وأربعمائة وهو ابن ست وخمسين سنة شمسية

وأما ابن الصفار فهو أبو القسم أحمد بن عبد الله بن عمر كان أيضا متحققا بعلم العدد والهندسة والنجوم وقعد في قرطبة لتعليم

ذلك وله زيج مختصر على مذهب السند هنـد وكتاب في العمل بالاسطرلاب موجز حسن العبارة قريب المأخـذ وخرج من قرطبة بعـد أن مضى حين من الفتنة واستقر بمدينة دانية قاعدة الأمير مجاهد العامرى من ساحل البحر الاندلسى الشرقى وتوفى بهـا رحمه الله وقدنجب من أهل قرطبة تلاميذ جمة سيأتى ذكرهم بعـد ان شاء الله تعالى ، وكان له أخ يسمى محمـد مشهورا بعمل الاسطرلاب لم يكن بالاندلس قبله أجمل صنعا لها منه

وأما الزهرى فهو أبو الحسن على بن سليمان كان عالما بالعدد والهندسة معتنياً بعلم الطب وله كتاب شريف فى المعاملات على طريق البرهان وهو الـكتاب المسمى بكتاب (الاركان)

وأما (الكرمانى) فهو أبو الحكم عمرو بن عبدالرحمن بن أحمد ابن على الكرمانى من أهل قرطبة أحد الراسخين فى علم العـدد والهندسة أخبرنى عنه تلميذه الحسين بن احمد بن الحسين بن حى المهندس المنجم انه ما لقى أحداً يجاريه فى علم الهندسـة ولا يشق غباره فى فك غامضها وتبيين مشكلها واستيفاء أجزائها ورحل الى ديار المشرق وانتهى منها الى حران من بلاد الجزيرة وعنى هنالك بعلم الهندسة والطب ثم رجع الى بلاد الاندلس واستوطن مدينة

(سرقسطة) من ثغرها وجلب معه الرسائل المعروفة برسائل (اخوان الصفاء) لا نعلم أحداً أدخلها الاندلس قبله وله عناية بالطب ومجربات فاضلة فيه ونفوذ مشهور في الكى والقطع والشق والبط وغير ذلك من أعمال الصناعة الطبية ولم يكن بصيراً بعلم النجوم التعليمى ولا بصناعة المنطق أخبرنى عنه بذلك أبو الفضل (حسداى) بن يوسف بن حسداى الاسرائيلى وكان خبيراً به ومحله من العلوم النظرية المحل الذى لا يجارى فيه بالاندلس وتوفى أبو الحكم رحمه الله بسرقسطة سنة ثمان وخمسين وأربعمائة وهو قد بلغ تسعين سنة أو جاوزها بقليل

وأما (ابن خلدون) فهو أبو مسلم عمرو بن احمد بن خلدون الحضرمى من أشراف أهل أشبيلية في علوم الفلسفة مشهوراً بعلم الهندسة والنجوم والطب مشبها بالفلاسفة فى اصلاح أخلاقه وتعديل سيرته وتقويم سياسته وتوفى فى بلده سنة تسع وأربعين وأربعمائه

ومن مشاهير تلاميذ أبى القسم أحمد بن عبد الله بن الصفار ابن البرغوث والواسطي وابن شهر والقرشى والامطش المروانى وابن العطار

فأما ابن برغوث فهو محمد بن عمر بن محمد المعروف بابن

البرغوث كان متحققاً بالعلوم الرياضية مختصاً منها بايثار علم الافلاك وهيآتها وحركات الكواكب وأرصادها وكان له مع ذلك تحقق بعلم النحو ومعرفة القرآن والفقه والوثائق واشراف حسن على سائر العلوم وكان عفيفاً حليما حسن السيرة معتدل الاخلاق طيب الذكر مرضي الاحوال وتوفى رحمه الله فى سنة أربع وأربعين وأربعمائة

وأما الواسطى فهو أبو الاصبغ عيسى بن احمد أحد المحنكين بعلم العدد والهندسة والفرائض وقعد بقرطبة لتعليم ذلك وله أيضا بصر بجمل من علم هيئة الافلاك وحركات النجوم وهو باق الى وقتنا هذا

وأما (ابن شهر) فهو أبو الحسن مختار بن عبدالرحمن بن مختار ابن شهر الرعينى كان بصيراً بالهندسة فى النجوم متقدما فى اللغة والنحو والحديث والفقه بليغاً شاعرا متكلما ذا دهاء ومعرفة بالسير والتواريخ وولى قضاء المرية آخر دولة زهير العامرى في سنة سبع وعشرين وأربعمائة وتوفى بمدينة قرطبة وهو باق على القضاء سنة خمس وثلاثين وأربعمائة

وأما ابن العطار فهو محمد بن خيرة العطار مولى الكاتب محمد ابن أبى هريرة خادم الظافر اسماعيل بن عبدالرحمن بن ذى النون

من صغار تلاميذ ابن الصفار متقن لعلم العدد والهندسة والفرائض وهو لوقتنا هـذا معلم لذلك فى مدينة قرطبـة وله أيضا بصر فى صناعة النجوم وعناية بعلم حركاتها

وقد نسى المؤلف الامطش أبا مروان الذى ذكره بين تلاميذ ابن الصفار

ومن مشاهير تلاميذ بن السمح أبو مروان سليمان بن محمد ابن عيسى بن الناسى بصير بالعدد والهندسة معتن بصناعة الطب فى أحكام النجوم وأبو جعفر أحمد بن عبدالله المعروف بابن الصفار المتطبب ومن مشاهير تلاميذ مسلم بن خلدون القرشي المعروف (بالسلاح) بقية العلماء بأشبيلية وهو أبو مروان عبد الملك

ومن نظراء هذه الطبقة عبـد الله بن أحمد السرقسطى كان نافذا فى عـلم العدد والهنـدسة والنجوم وقعد لتعليم ذلك فى بلده أخـبرنى عنه تلميذه على بن بحـده ابن داود (المهنـدس) انه ما لقى أحدا أحسن تصرفا فى الهندسة ولا أضبط ورأيت رسالة له كتب بها الى أبى مسلم بن خلدون الاشبيـلى يذكر فيها فساد مذهب (السند هنـد) فى حركات الـكواكب وتعديلها ويحتج بأشياء قد رددنا عليه فيها وبينا موضع الغلط منها فى كتابنا المؤلف

فى اصلاح حركات الكواكب والتنبيه على خطأ المنجمين وتوفى عبد الله بن أحمد هذا بمدينة (بلنسية) سنة ثمان وأربعين وأربعمائة

ومنهم أبو اسحق ابراهيم الهوذى الاشبيلى كان بصيراً بعلوم البرهان واللسان والمسائلة وكان متفننا فى ضروب المعارف صنيعاً لطيف اليد توفى بمصر سنة عشرين وأربعمائة وهو لم يتمكن من سن الكهولة

ومن مشاهير أصحاب ابن برغوث ابن الليث وابن الجلاب وابن حي ، فأما ابن الليث فهو محمد بن أحمد بن الليث كان متحققا بعلم العدد والهندسة مقفيا بعلم حركات الكواكب وارصادها وكان مع هذا بصيراً بالنجوم واللغة والفقه ذا مروءة كاملة ونفس طيبة وتوفى وهو متقلد القضاء (بشربون) من أعمال (بلنسية) سنة خمس وأربعمائة

وأما (ابن حى) فهو الحسن بن محمد بن الحسين بن حى التجيبي من أهل (قرطبة) كان بصيرا بالهندسة والنجوم كلفا بصناعة التعديل وله فيها مختصر على مذهب (السندهند) وخرج من الاندلس سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة

ولحق بمصر بعد أن نالته بالاندلس وبالبحر محن شداد ثم

رحل الى اليمن واتصل بأميرها (السبحى) القائم بدعوة الملك معد المستنصر بالله ابن على الظاهر بن منصور الحاكم بن نزار العزيز بن معد المعز بن اسماعيل المنصور بن عبد الرحمن القائم بن عبيد الله المهدى الذى ملكه الآن مشتمل على بعض افريقية وجميع مصر والشام وجزيرة العرب والحجاز وتهامة ونجد واليمن فحظى (ابن حي) هذا عند الامير (السبحى) حظوته المشهورة وبعثه رسولا الى الخليفة القائم بأمر الله ببغداد فى هيئة فخمة ونال هناك دنيا عريضة وبلغنا انه توفى باليمن بعد انصرافه من بغداد سنة ست وخمسين وأربعمائة

وأما ابن الجلاب فهو الحسن بن عبد الرحمن المعروف (بابن الجلاب) أحد المحققين بعلم الهندسة وهيئة الافلاك وحركات النجوم وله مع ذلك عناية بالمنطق والعلم الطبيعى وهو فى وقتنا هذا مستوطن مدينة (المرية) قاعدة الامير محمد بن معد بن محمد بن محادج التجيبي

ومنهم أبو الوليد هشام بن احمد بن خالد الكنانى المعروف بابن الوقشى من أهل (طليطلة) أحد المتفننين فى العلوم المتوسعين فى ضروب المعارف من أهل الفكر الصحيح والنظر الناقد والتحقق

بصناعة الهندســة والمنطق والرسوخ فى علم النحو واللغة والشعر والخطابة والاحكام بعلم الفقه والاثر والكلام وهو مع ذلك شاعر بليغ ليس يفضله عالم بالانساب والاخبار والسير مشرف على جمل سائر العلوم لقيته (بطليطلة) سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة وقد تقلد القضاء بين أهــل (طلبيرة) من ثغور (طليطلة) قاعــدة الامير المأمون يحيى بن الظافر اسماعيل بن عبــد الرحمن بن اسماعيل بن عامر بن مطرف بن موسى بن ذى النون ومن نظراء هؤلاء أبو جعفر أحمد بن حميس بن عامر بن منيح من أهل (طليطلة) أيضا أحد المعتنين بعلم الهندسة والنجوم والطب وله مشاركة فى علوم اللسان وحظ صالح فى الشعر وهو من أقران القاضى أبى الوليــد هشام بن أحمد ابن هشام وأبى اسحق ابراهيم بن لب بن ادريس التجيبي المعروف (بالقويدس) كان من أهــل (قلعة أيوب) ثم خرج عنها واستوطن (طليطلة) وتأدب فيها وبرع فى علوم العدد والهندسة والفرائض وقعد للتعليم بذلك زمانا طويلا وكان له بصر بعلم هيئة الافلاك وحركات النجوم وعنه أخذت كثيراً من ذلك وكان له مع ذلك نفوذ فى العربية وقد أدب بها زمان (بطليطلة) وتوفى رحمــه الله ليلة الاربعاء لثلاث بقين من رجب ســنة أربع

وخمسين وأربعمائة

فهؤلاء مشاهير من عني بالعلم الرياضي بالاندلس وقد كان بها جماعة غيرهم أضربت عن ذكرهم اما لتقصيرهم عن هؤلاء واما لجهلي عن أسمائهم واخبارهم ومنازلهم من المعرفة وان كانوا مشهورين بأسمائهم عندنا بالاندلس الى هنا وفي زماننا هذا أفراد من الاحداث منتدبون بعلم الفلسفة ذووا أفهام صحيحة وهمم رفيعة قد أحرزوا من أجزائها

فمنهم من سكان (طليطلة) وجهاتها أبو الحسن علي بن خلف ابن أحمر وأبو اسحاق ابراهيم بن يحيي النقاش المعروف (بولد الزرقيال) وأبو مروان عبد الله بن خلف الاستحي وأبو جعفر احمد ابن يوسف بن غالب التهلاكي وعيسى بن أحمد بن العالم وابراهيم ابن سعيد السهلي الاسطرلابي

ومنهم من أهل (سرقسطة) الحاجب أبو عامر بن الامير المقتدر بالله احمد بن سليمان بن الهود الجزامي وأبو جعفر احمد بن جوشن بن عبد العزيز بن جوشن

ومنهم من أهل (بلنسية) أبو زيد عبدالرحمن بن سيد وأبرع هؤلاء في الهندسة علي بن أحمر الصيدلاني جعفر أحمد بن جوشن

وأعلمهم بحركات النجوم وهيئة الافلاك أبو اسحق ابراهيم بن يحيي النقاش المعروف (بولد الزرقيال) فانه أبصر أهل زماننا بارصاد الكواكب وهيئة الافلاك وحساب حركاتها وأعلمهم بعلم الازياج واستنباط الآلات النجومية وأما أبو عامر بن الأمير بن هود فهو مع مشاركته لهؤلاء فى العلم الرياضى منفرد دونهم بعلم المنطق والعناية بالعلم الطبيعى والعلم الالهى

وممن اعتنى بصناعة المنطق خاصة من سائر الفلسفة أبو محمد على بن احمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفين بن يزيد الفارسي مولى يزيد بن أبى سفيان بن حرب ابن أمية بن عبد شمس القرشى أصل آبائه من قرية (منت نشيم) من اقليم (الزاوية) من عمل (أوله) من (كورة ليلة) من غرب الاندلس وسكن هو وآباؤه (قرطبة) ونالوا فيها جاهاً عريضاً فكان أبوه أبو عمرو أحمد بن سعيد بن حزم أحد العظماء من وزراء المنصور محمد بن عبد الله بن أبى عامر ووزر لابنه المظفر بعده وكانا المدبرين لدولتهما وكان ابنه الفقيه أبو محمد وزيراً لعبد الرحمن المستظهر بالله ابن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر لدين الله ثم نبذ هذه الطريقة وأقبل على قراءة العلوم وتقييد الآثار والسنن

فعنى بعلم المنطق وألف فيه كتابا سماه (التقريب) لحدود المنطق بسط فيه القول على تبيين طرق المعارف واستعمل فيه أمثلة فقهية وجوامع شرعية وخالف (ارسطاطاليس) واضع هذا العلم فى بعض أصوله مخالفة من لم يفهم غرضه ولا ارتاض فى كتابه فكتابه من أجل هذا كثير الغلط بين السقط وأوغل بعد هذا فى الاستكثار من علوم الشريعة حتى نال منها مالم ينله أحـد قط بالاندلس قبله وصنفوا فيها مصنفات كثيرة العدد شريفة المقصد معظمها فى أصول الفقه وفروعه على مذهبه الذى ينتحله وطريقه الذى يسلكه وهو مذهب داود بن على بن خلف الاصبهانى ومن قال بقوله من أهل الظاهر ونفاة القياس والتعليل ولقد أخبرنى ابنه الفضل المكنى أبا رافع ان مبلغ مؤلفاته فى الفقه والحديث والاصول والنحل والملل وغير ذلك من التاريخ والنسب وكتب الادب والرد على المعارضين نحو أربعمائة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة وهـذا شئ ما علمناه من أحـد ممن كان فى دولة الاسـلام قبله الا لابى جعفر بن جرير الطبرى فانه أكثر أهل الاسلام تأليفا

ذكر أبو محمد عبدالله بن محمد بن جعفر الفرغانى فى كتابه فى التاريخ المعروف بالصلة وهو الذى وصل به تاريخ أبى جعفر الطبرى

الكبير ان قوماً من تلاميذ أبي جعفر أحصوا أيام حياته مذ بلغ
الحلم الى أن توفى في سنة عشر وثلاثمائة وهو ابن ست وثمانين سنة
فصار منها لكل يوم أربع عشرة ورقة وهذا لا يتهيأ لمخلوق الا
بكرم عناية البارئ به وحسن تأييده ولابى محمد بن حزم بعد هذا
نصيب وافر فى علم النحو واللغة وقسم صالح من قرض الشعر
وصناعة الخطابة وكتب الى بخط يده أنه ولد بعد صلاة الصبح
وقبل طلوع الشمس آخر يوم من شهر رمضان من سنة أربع
وثمانين وثلاثمائة وتوفى رحمه الله لسلخ شعبان سنة ست وخمسين
وأربعمائة

ومنهم أبو الحسن على بن اسماعيل بن سيدة الأعمى وكان
أبوه أيضاً أعمى عنى بعلوم المنطق عناية طويلة وألف تأليفاً كبيراً
مبسوطا ذهب فيه الى مذهب متى بن يونس وهو بعد هذا اعلم
أهل الاندلس قاطبة بالنحو واللغة والاشعار وأحفظهم لذلك حتى
انه يستظهر كثيراً من المصنفات فيها كغريب المصنف واصلاح
المنطق وله في اللغة تواليف جليلة منها كتاب المحكم والمحيط الاعظم
مرتب على حروف المعجم ، ومنها كتاب المخصص مرتب على
الأبواب كغريب المصنف ، ومنها شرح اصلاح المنطق وشرح

كتاب الحماسة وغير ذلك وتوفى رحمه الله سنة ثمان وخمسين وأربعمائة وقد بلغ ستين سـنة أو نحوها فهؤلاء مشاهير أهل البرهان من علماء الاندلس

وأما العلم الطبيعى والعلم الالهى فلم يعن أحد من أهل الاندلس بهما كبير عناية ولا أعلم ممن عنى بهما الا أباعبد الله محمد بن عبد الله بن حامد المعروف بابن النبّاش البجائى وسيأتى ذكره في الاطباء والا أباعامر ابن الأمر بن هود وأبا الفضل بن الفضل بن حسداى الاسرائيلى

وأما صناعـة الطب فلم يكن بالاندلس من استوعبها ولا لحق بأحد المتقدمين فيها وانما كان غرض أكثرهم من علم الطب قراءة الكنانيش المؤلفة فى فروعه فقط دون الكتب المصنفة فى أصوله مثـل كتاب أبقراط وجالينوس وليستعجلوا بذلك ثمرة الصناعـة ويستفيدوا به خـدمة الملوك فى أقرب مدة الا افراداً منهم رغبوا عن هذا الغرض وطلبوا الصناعة تواتها وقرأوا كتبها على مراتبها ، فأول من اشتهر بالطب فى الاندلس أحمد بن اياس من أهالى قرطبة وذوى الاصول والمكاسب الخطيرة بها كان فى أيام الامير محمد بن عبد الرحمن الاوسط وكان الناس قبلهم يقولون

فى الطب على قوم من النصارى لم يكن عندهم تحقق به ولا بشئ
من سائر العلوم وانما كانوا يقولون على كتاب بأيديهم من كتب
النصارى يقال له الابريشيم وتفسيره الجامع والمجموع

وورد أيضا في أيام الأمير محمد بن عبد الله الاوسط رجل
من أهالى حران كان يعرف بالاندلس بالحرانى لم يبلغنى اسمه كانت
عنده مجربات حسان فى الطب واشتهر بقرطبة وحاز الذكر فيها
ثم كان بعد هذين ومن كان معاصرهما ممن لم يشتهر يحيي بن اسحق
أحد وزراء عبد الرحمن الناصر لدين الله فى صدر دولته كان أبوه
اسحاق نصرانيا طبيباً مجربا صانعاً بيده فى أيام الامير عبد الله
الناصر وولاه الولايات الجليلة وهو مسلم ونال عنده خطوة وألف
فى الطب كناشاً يشتمل على خمسة أسفار ذهب فيه مذهب الروم
وسعيد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن محمد بن
سالم مولى الامير هشام الرضى بن عبد الرحمن الداخل وهو ابن
أخى أحمد بن محمد بن عبد ربه الشاعر صاحب (العقد) كان طبيباً
نبيلا وشاعرا محسناً وله فى الطب رجز جليل محتو على جملة حسنة
منه دل به على تمكنه فى العلم وتحققه مذاهب القدماء وكان له مع ذلك
بصر بحركات الكواكب ومهاب الرياح وتغيير الاهوية وذكر

عنه انه فصد يوما فبعث الى عمه أحمد بن محمد بن عبد ربه الشاعر الاديب راغبا اليـه في أن يحضر عنده مؤنسا له فلم يجبه عمه الى ذلك فكتب اليه

لما عدمت مؤنسا وجليسا   نادمت بقراطا وجالينوسا
وجعلت كتبهما شفاء تفردي   وهما الشفاء لكل جرح يوسى

فلما وصل البيتان الى عمه أجابه بأبيات منها

ألفيت بقراطا وجالينوسا   لا يأكلان ويرزئان جليسا
فجعلتهم دون الاقارب جنة   ورضيت منهما صاحباً وأنيسا
وأظن بخلك لا يرى لك تاركا   حتى تنادم بعدهم ابليسا

وكان سعيد بن محمد هـذا جميل المذهب منقبضا عن الملوك وهو القائل فى آخر عمره

أمن بعد غوصى فى علوم الحقائق   وطول انبساطي فى مواهب خالقى
وفى حين أشرافى على ملكوته   أرى طالباً رزقاً الى غير رازقى
فأيام عمر المرء متعة ساعـة   تمر سريعاً مثل لمعـة بارق
وقد أذنت نفسى بتقويض رحلها   وأسرع فى سوقي الى الموت سائقى
وانى وان أوغلت أوسرت هاربا   من الموت فى الآفاق فالموت لاحق

ومنهم عبد بن بريق وأصنع بن يحي وجماعة غيرهما فكان هؤلاء

وأمثالهم أطباء الاندلس فى ابان الزمان الذى ذكرنا قبلا من أيام الامير محمد الى وقت تميم الحكم المستنصر بالله الى وقتنا هذا

ومنهم أحمد بن حكم بن حفصون كان طبيبا نبيلا جيد القريحة حسن الفطنة دقيق النظر بصيراً بالمنطق مشرفا على كثير من علوم الفلسفة وكان متصلا بالحاجب جعفر السقلى ومستوليا على خاصته فأوصله بالحكم المستنصر بالله وخدمه بالطب الى أن توفى الحاجب جعفر فأسقط حينئذ من ديوان الاطباء وبقى محملا الى أن توفى

ومنهم محمد بن تمليخ كان ذا وقار وسكينة ومعرفة بالطب والنحو واللغة والشعر والرواية وخدم الناصر والمستنصر بصناعة الطب وكان خطيباً عند الحكم وولاه النظر فى بنيان الزيادة فى قبلى الجامع بقرطبة فتولى ذلك وكملت تحت اشرافه وأمانته ورأيت اسمه مكتوبا بالذهب وقطع فسيفساء على حائط المحراب بها وان ذلك البنيان كمل على يده عن أمر الخليفة الحكم فى سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة

ومنهم أبو الوليد محمد بن الحسين المعروف بابن الكتانى كان عالما بالطب حسن العلاج لطيف المعافاة سريا محبباً الى الناس وخدم الناصر والمستنصر

ومنهم عبـد الله الثقفي ، كان عالما بالطب والهندسة وكان الطب أغلب عليه وخدم الناصر والمستنصر

ومنهم عز وأحمد ابنا يونس بن أحمد الحرانى رحلا الى المشرق في دولة الناصر وأقاما هنالك عشرة أعوام ودخـلا بغداد وقرآ فيها على ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة الصابئى كتب جالينوس عرضا وخدما ابن وصيف فى عمل علل العين وانصرفا الى الاندلس فى دولة المستنصر بالله وذلك فى سنة احـدى وخمسين وثلاثمائة فألحقهما بخدمته فى الطب واستخلصهما لنفسه من سائر أطباء وقته ومات عز فيها وبقى أخوه أحمـد أثيراً عند الحكم الى آخر أيامه ثم ولاه هشام المؤيد بالله خطة الشرط وخطة السوق وكان يداوى العين مداواة نفيسة وله في ذلك فى قرطبة آثار عجيبة

ومنهم محمد بن عبدون الجبلى رحل الى المشرق سـنة سبع وأربعين وثلاثمائة ودخـل البصرة ومصر ودبر مارستانيهما وتمهر فى الطب ونبل فيه وأحكم كثيراً من أصوله وعانى صناعة المنطق عناية صحيحة وكان شيخه فيها أبا سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجستانى البغدادى ثم رجع الى الاندلس سـنة ستين وثلاثمائة فخدم المستنصر بالله والمؤيد فى الله في الطب وكان قبل أن يتطبب

مؤدباً فى الحساب والهندسة وله فى التكسير كتاب حسن

وأخبرني أبو عثمان سعيد بن محمد بن البغونش الطليطلى انه لم يبق فى قرطبة أيام طلبه فيها من يلحق بمحمد بن عبدون الجبلى في صناعة الطب ولا يجاريه فى ضبطها وحسن دربته فيها وأحكامه لغوامضها ، وكان فى زمان ابن عبدون وبعده الى آخر الدولة العباسية جماعة لهم نفوذ فى صناعة الطب وتمرس بها الا أنهم كانوا جميعا مقصرين عن شأو محمد بن عبدون وواطئين عقبه فكان منهم سليمان بن حسان المعروف بابن جلجل وعبد الله بن اسحاق المعروف بابن الشناعة المسلمانى الاسرائيلى وقوم سواهم كان منهم أصغرهم سنا أبو عبد الله محمد بن الحسين المعروف بابن الكتانى وكان أخذ الطب عن عمه محمد بن الحسين وطبقته وخدم به المنصور محمد ابن أبي عامر وابنه المظفر ثم انتقل فى صدر الفتنة الى مدينة سرقسطة واستوطنها وكان بصيراً بالطب متقدماً فيه ذا حظ من المنطق والنجوم وكثير من علوم الفلسفة أخبرني عنه الوزير أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكبير بن وافد اللخمى انه كان دقيق الذهن ذكى الخاطر جيد الفهم حسن التوليد والتنتيج وكان ذا ثروة وغنى واسع وتوفى قريباً من سنة عشرين وأربعمائة

وقد قارب ثمانين سنة وقرأت فى بعض تآليفه قال أخذت صناعة المنطق عن محمد بن عبدون الجبلى وعمر بن يونس بن أحمد الحرانى وأحمد بن حفصون الفيلسوف وابن عبد الله محمد بن ابراهيم العاصى النحوى وأبى محمد عبد الله بن مسعود البجاني ومحمد ابن ميمون المعروف بمركوش أبى القسم فند بن نجم وسعيد بن فتحون السرقسطى المعروف بالحمار وأبى الحرث الاسقف تلميذ ربيع بن زيد الاسقف الفيلسوف وأبى مروان التجانى ومسلمة ابن أحمد المرحيط

وكان من طبقة أبو العرب يوسف بن محمد أحد المتحققين بصناعة الطب الراسخين فى علمه وحدثنى الوزير أبو المطرف بن وافد وأبو عثمان سعيد بن محمد بن البغونش انه كان محكما لاصول الطب نافذاً فى فروعه حسن التصرف فى أنواعه قال وسمعت غيرهما يقول لم يكن أحد بعد محمد بن عبدون يوازى أبا العرب فى قيامه بصناعة الطب ونفوذه وكان غلب عليه فى آخر عمره حب الخمر فكان لا يوجد صاحيا ولا مفيقاً من خمار وحرم بذلك الناس كثيرا من الانتفاع بعلمه وتوفى وهو قارب تسعين سنة بعد سنة ثلاثين وأربعمائة

وكان بعد هؤلاء الى وقتنا هذا جماعة من أشهرهم أبو عثمان سعيد بن محمد بن البغونش وكان من أهل (طليطلة) ثم رحل الى (قرطبة) لطلب العلم بها فأخذ عن مسلمة بن احمد علم العدد والهندسة وعن محمد بن عبدون الجبلي وسليمان بن جلجل وابن الشناعة ونظرائهم علم الطب ثم انصرف الى (طليطلة) واتصل بأميرها الظافر اسماعيل بن عبد الرحمن بن اسماعيل بن عامر بن مطرف ابن ذى النون وحظى عنده وكان أحد مدبرى دولته ولقيته فيها بعد ذلك فى صدر دولة المأمون ذى المجد بن يحيي بن الظافر بن اسماعيل بن ذى النون وقد ترك قراءة العلم وأقبل على قراءة القرآن ولزوم داره والانقباض عن الناس فلقيت منه رجلا عاقلا جميل الذكر والمذهب حسن السيرة نظيف الثياب ذا كتب جليلة فى أنواع الفلسفة وضروب الحكمة وتبينت منه انه قد قرأ الهندسة وفهمها والمنطق وضبط كثيراً منه ثم أعرض عن ذلك وتشاغل بكتب جالينوس وجمعها وتناولها بتصحيحه ومعاناته فحصل بتلك العناية فهم كثير منها ولم يكن له دُربة فى علاج المرضى ولا طبيعة نافذة فى فهم الامراض وتوفى عند صلاة الصبح يوم الثلاثاء فى أول يوم من رجب سنة أربع وأربعين وأربعمائة وكان اذ توفى

سنه خمس وسبعين سنة

ومنهم الوزير أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عبدالكبير ابن يحي بن وافد بن مهند اللخمى أحد أشراف أهـل الاندلس وذوى السلف الصالح منهم والسالفة القديمة فيهم عنى عناية بالغة بقراءة كتب (جالينوس) وتفهمها ومطالعة كتب (ارسطاطاليس) وغيره من الفلاسفة وتمهر فى علوم الادوية المفردة حتى ضبط منها ما لم يضبط أحد فى عصره وألف فيها كتابا جليلا لا نظير له جمع فيـه ما تضمنه كتاب (ديوسقوريدوس) وكتاب (جالينوس) المؤلفين فى الادوية المفردة ورتبه أحسن ترتيب وهو مشتمل على قريب من خمسمائة ورقة وأخبرنى عنه انه عانى جمعه وحاول ترتيبه وتصحيح ما ضمنه من أسماء الادوية وصفاتها وأودعـه اياه من تفصيل قواها وتحديد درجاتها من عشرين سنة حتى كمل موافقا لغرضه مطابقاً لبغيته وله فى الطب منزع لطيف ومذهب نبيل وذلك انه لا يرى التداوى بالادوية ما أمكن التداوى بالأغذية أو ما كان قريباً منها فاذا دعت الضرورة الى الادوية فلا يرى التداوى بمركبها ما وصل الى التداوى بمفردها فان اضطر الى المركب لم يكثر التركيب بل اقتصر على أقـل ما يمكن منـه وله نوادر محفوظة

وغرائب مشهورة فى الابراء من العلل الصعبة والأمراض المخوفة بأيسر العلاج وأقربه وهوفي وقتنا هذا حي مستوطن مدينة (طليطلة) وأخبرنى أنه ولد فى سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة ، ومنهم أبو مروان عبد الملك بن الفقيه محمد بن مروان بن زهر الاشبيلى رحل الى المشرق ودخل القيروان ومصر وتطبب هناك زمانا طويلا ثم رجع الى الاندلس واستوطن مدينة (دانية) واشتهر بها زمانا بالتقدم في صناعة الطب وطار ذكره منها الى أقطار الاندلس وله فى الطب آراء شاذه منها منعه من الحمام واعتقاده أنه يعفن الاجسام ويفسد تركيب الامزجة وهذا رأى يخالف فيه الاوائل والاواخر ويشهد بخطئه العوام والخواص بل اذا استعمل على الترتيب الذى يجب بالتدريج الذى ينبغى يكون رياضة فاضلة ومهنة نافعة لتفتحيه المسامّ وتطريته للفضول وتلطيفه لما غلظ من الكيموسات ، ومنهم أبو محمد عبد الله بن محمد المعروف بابن الذهبي أحد المعتنين بصناعة الطب ومطالعة كتب الفلاسفة من غير تحقق بها وكان كلفاً بصناعة الكيمياء مجتهدا فى طلبها وتوفى (ببلنسية) فى جمادى الآخرة سنة ست وخمسين وأربعمائة وشاهدت دفنه هناك رحمه الله تعالى

ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبدالله بن حامد التجانى المعروف (بابن النباش) معتني بصناعة الطب منتصبا لعلاج المرضى ذو معرفة

جيـدة بالعلم الطبيعي ومشاركة فى الالهى وتحقق بعلم الاخـلاق والسياسة وله بصر بصناعة المنطق ولا كبير حظ عنده من العلم الرياضى وهو حي بجهة (مرسية) فى وقتنا هذا، ومنهم أبو جعفر ابن خميس الطليطلي وقد تقـدم ذكره فى الرياضـيين قرأ كتب (جالينوس) على مراتبها وتناول صـناعة الطب من طرقها

ومنهم ثم من احداث عصرنا ممن يعتني بطلب الفلسفة أبو الحسن عبد الرحمن بن خلف بن عسا كراعتنى بكتب (جالينوس) عناية صالحة وقرأ كثيراً منها على أبى عثمان سـعيد بن محمد بن بغونش واشتغل أيضاً بصناعة الهندسة والمنطق وغير ذلك وكانت له عبارة بالغة وطبع فاضل في المعاناة ومنزع حسن فى الفلاح وهو مع ذلك صنيع اليدين منصرف فى ضروب من الاعمال اللطيفة والصناعات ساع في نيلها وله من جودة القريحة وصحة الفهم ما يمكنه من البلوغ الى المراتب الرقية من الفلسفة ان أعانه جـد وساعده حال وأما صناعة أحكام النجوم فلم تزل نافقة بالاندلس قديما وحديثا واشتهر بتقلدها جماعة فى كل عصر الى وقتنا هذا فكان من مشاهيرهم فى زماننا هذا وزمان بنى أمية منهم أبو بكر يحيي بن احمد المعروف (بابن الخياط) كان أحد تلاميذ أبى القاسم مسلمة ابن احمد المرحيط فى علم العدد والهندسة ثم مال الى أحكام النجوم

فبرع فيها واشتهر فى علمها وخدم بها سليمان بن الحكم بن الناصر لدين الله أمير المؤمنين فى زمان الفتنة وغيره من الامراء وآخر من خدم بذلك معتنياً بصناعة الطب دقيق العلاج وكان حصينا حليما دمثا حسن السيرة كريم المذهب وتوفى بطليطلة سنة سبع وأربعين وأربعمائة وقد قارب ثمانين سنة ، ومنهم من احداث عصرنا أبو مروان عبيد الله بن خلف أحد المتحققين بعلم الاحكام والمشرفين على كتب الاوائل فلا أعلم احدا فى الاندلس فى وقتنا هذا ولا قبله وقف من اسرار هذه الصناعة وغرائبها على ما وقف عليه وله فى التسيرات ومطارح الشعاعات وتعليل بعض اصول الصناعة رسالة فاضلة لم يتقدمه أحد اليها كتب بها الى من مدينة (لمافونكه)

فهؤلاء المشهورون من علماء المسلمين بالعلوم القديمة بالمشرق والمغرب ولست أدعي الاحاطة بهم فقد يمكن أن يكون في من لم أعرفه يربى على كثير من هؤلاء ولله تعالى مزية الاعطاء

العلوم في بنى اسرائيل

وأما الامة الثامنة وهم بنوا اسرائيل فلم يشتهروا بعلوم الفلسفة وانما كانت عنايتهم بعلوم الشريعة وسير الانبياء فكان أحبارهم أعلم الناس بأخبار الانبياء وبدء الخليقة وعنهم أخذ ذلك علماء

المسلمين كعبد الله بن عباس وكعب الاحبار ووهب بن منبّة الا أن لهم حسابا دقيقاً فى تاريخ شريعتهم ومعاملاتهم لا أدرى هل هو من تاريخ علمائهم أورتبه لهم بعض العلماء من غيرهم ويسمون حسابهم هـذا العِبُّور وشهورهم قمرية وسنتهم ناقصة ومكبّسة فالناقصة قمرية والمَكبسة شمسية ويسمون كل تسع عشرة سنة مبدأ تاريخهم مخروراً وهوالعدد الذى يتم فيه كسور السنين فيجتمع منها سبعة أشهر يزيدون منها شهرا فى سنين من المخرور وهى السنة الثالثة والسادسة والثامنة والحادية عشرة والرابعة عشرة والسابعة عشرة والتاسعة عشر فتكون هذه السنون السبعة شمسية مكبسة كل سنة منها من ثلاثة عشر شهراً قمريا ومقدار السنة القمرية عندهم ٣٠٠ يوم و ٥٤ يوما وثمان ساعات و ٨٠٠ دقيقة و٧٦ دقيقة من دقائق ساعة واحدة التى هى ١٠٨٠ دقيقة ومقدار الشمسية عندهم ٣٦٥ يوما وربع يوم فقط فتزيد السنة الشمسية على السنة القمرية الناقصة عشرة أيام و ٢١ ساعة و ٢٠٤ دقائق ومدخل السنة الاولى من المخرورة الخامسة والخمسين والمائتين من مبدأ العالم عند اليهود هو مدخل سنة ٤٨٢٧ لتاريخ آدم عليه السلام عندهم وسنة ٤٥٨ هجرية و ١٠٦٦ م وهذه الامة هى بيت النبوة ومعدن الرسالة من بنى آدم وجمهور الانبياء صلوات الله وسلامه

عليهم وكانت مساكنهم بلاد الشام وبها كان ملكهم الاول والآخر الى ان أخلاهم عنها المدة الآخرة طيطس الملك الرومى ومزق ملكهم وبدد جمعهم فتقطعوا في البلاد أيدى سبا وتفرقوا فى أقطاره شذرمذر فليس من معمور الارض بقعة الا وفيهامنهم فى مشارق الارض ومغاربها وجنوبها وشمالها الاما كان من جزيرة العرب فان عمر بن الخطاب رضى الله عنه أجلاهم عنها لامر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فى قوله (ولا يبقين دينان فى أرض العرب) فلما تفرقوا فى البلاد وداخلوا الامم تحركت همم قليل منهم لطلب العلوم النظرية واكتساب الفضائل العقلية فنال افراد منهم ماشاؤا من فنون الحكمة ،فكان منهم فى دولة الاسلام ممن اشتهر بصناعة الطب ماسرجويه الطبيب الذى تولى لعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ترجمة كتاب أهرن القس فى الطب وهو كناش فاضل من أفضل الكنانيش القديمة ، وكان منهم ثَمَّ من المتأخرين اسحاق بن سليمان تلميذ اسحاق بن عمران المعروف بسم ساعة كان طبيباً متقدماً خدم بالطب عبد الله المهدى صاحب أفريقية وكان مع ذلك بصيراً بالمنطق متصرفا فى ضروب المعارف وعمر عمراً طويلا الى أن نيف على مائة سنة لم يتخذ فيها امرءة ولا اقتني مالا وله تواليف جياد منها كتاب في الاغذية وكتاب فى الحميات

لا نظير له وكتاب فى البول وكتاب الاسطقسات وكتاب فى الحدود والرسوم وكتاب المعروف ببستان الحكمة فى مسائل من العلم الالهى وتوفى قريبا من سنة عشرين وثلاثمائة، ومنهم من أهل أحكام النجوم سهل بن بشر بن حبيب له تواليف حسان مشهورة فى الأحكام منها كتابه في المواليد وتحاويلها وكتاب تحاويل سنى العالم وكتاب المسائل والاختيارات ، وكان بباب الاندلس منهم جماعة فمن عنى بصناعة الطب حسداى بن اسحق خادم الحكم بن عبد الرحمن الناصر لدين الله فكان معتنيا بصناعة الطب متقدما فى علم شريعة اليهود وهو أول من فتح لاهل الاندلس منهم باب علمهم من الفقه والتاريخ وغير ذلك وكانوا قبله يضطرون فى فقه دينهم وسني تاريخهم ومواقيت أعيادهم الى يهود بغداد فيستجلبون من عندهم حساب عدة من السنين يعرفون به مداخل تاريخهم ومبادئ سنتهم فلما اتصل حسداى بالحكم ونال عنده نهاية الحظوة بفضل دربته ونهاية براعته وأدبه وتوصل به الى استجلاب ماشاء من تواليف اليهود بالمشرق فعلم حينئذ يهود الاندلس ما كانوا قبلا يجهلونه وصرفهم عما كانوا يتجشمون الكلفة فيه ،ثم كان في الفتنة منحم بن الفوال من سكان سرقسطة وكان متقدما فى صناعة الطب متصرفا مع ذلك فى صناعة المنطق وسائر علوم الفلسفة وله تأليف سماه كنز المقل رتبه على المسألة

والجواب وضمنه جملا من قوانين المنطق وأصول الطبيعة وكان معه بسرقسطه مروان بن جناح من أهل العناية بصناعة المنطق والتوسع فى علم لسانى العرب واليهود وله تأليف حسن فى ترجمة الاودية المفردة وتحديد المقادير المستعملة فى صناعة الطب من الاوزان والمكاييل وكان منهم اسحق بن قسطار خادم الموفق مجاهد العامرى وابنه اقبال الدولة على كان بصيراً بأصول الطب مشاركا فى علم المنطق مشرفا على آراء الفلاسفة وكان حميد المذهب جميل الاخلاق جالسته كثيراً فما رأيت يهوديا مثله فى رجاحته وصدقه وكمال مروئته وكان متقدماً في علم اللغة العبرانيـة بارعا فى فقه اليهود خبيرا فى أخبارهم وتوفى بطليطلة سنة ثمان وأربعين وأربعمائة وهو ابن خمس وسبعين لم يتخذ قط فيها امرأة وكان منهم ثم من أهل الاعتناء ببعض علوم الفلسفة سليمان ابن يحيي المعروف بابن جيروال من سكان سرقطة وكان مولعا بصناعة المنطق لطيف الذهن حسن النظر أخفر وتوفى وقد أربي على الثلاثين قريبا من سنة خمسين وأربعمائة، ومنهم من فيتان عصرنا أبو الفضل حسداى بن يوسف بن حسداى ساكن مدينة سرقسطة ومن بيت شرف اليهود بالاندلس من ولد موسى النبي عليه السلام عنى بالعلوم على مراتبها وتناول المعارف من طرقها فأحكم علم لسان العرب ونال حظاً جزيلا من صناعة الشعر والبلاغة وبرع علم العدد

وعلم الهندسة وعلم النجرم وفهم صنعة الموسيقى وحاول عملها واتقن
علم المنطق وتمرس في البحث والنظر ثم ترقي الى علم الطبيعة فبدأ منه
بسمع كتاب الكيان لارسطاطاليس حتى أحكمه ثم شرع فى كتاب
السماء والعالم ففارقته سنه ثمان وخمسين وهو خارق حجبه وان امتد
به الاجل واتصلت به العناية فسيوفي على صناعة الفلسفه ويستوعب
فنون الحكمة هذا وهو بعد فتى لم يبلغ الاشد الا أن الله تعالى يخص
بفضله من يشاء ، فهؤلاء مشاهير العبرانيين عندنا الذين مهروا بعلم
الفلسفة وأما العلماء بشريعة اليهود فأكثر من أن يحصنوا فى مشارق
الارض ومغاربها وأشهرهم من أهل المشرق سعيد بن يعقوب الفيومى
وأبو كثير الكاتب الطبرانى وداود القومشى وابراهيم التسترى، ومن
جرى مجراهم من أحبار اليهود المشتغلين بمناظرة المتكلمين على الملل
مالديهم من صناعة الجدل وطريق التناظر ، وكان منهم بالاندلس
أبو ابراهيم بن اسماعيل بن يوسف الكاتب المعروف بابن الغزال
خادم الأمير باريس بن حيوس الصنهاجى ملك غرناطة وأعمالها
ومدبر الدولة فكان عنده من العلم بشريعة اليهود والمعرفة بالانتصار
لها والذب عنها ما لم يكن عند أحد من أهل الاندلس قبله وتوفى
سنة ثمان وأربعين وأربعمائة ، فهذا ما حضر فى حفظه من تسمية
علماء الامم والتعريف بنبذ من تواليفهم وأخبارهم والحمد لله


Bibliotheca Alexandrina
04224908